

سلسلة المعارف الإسلامية

٥٠



في مقارنة الأديان

نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن

الدكتور صائب عبدالحميد

تحظى إصدارات المركز
بالمتابعة والتقويم والإشراف العلمي



نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة

شبكة رافد للتنمية الثقافية





كلمة المركز

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين ، وبعد ...

يعني علم مقارنة الأديان بدراسة نقاط الاتفاق والافتراق ، التشابه والاختلاف ، بين مضامين الأديان السماوية وتعاليمها ، ودراسة الواقع التاريخي والاجتماعي كل منها وما قد يكون أضفاه عليها من خصوصيات ، ربما يكون من أبرزها لغة الديانة وأسلوبها في الخطاب ومدى اتساع وشمول أحكامها التشريعية.

وليس من شك في أن الديانات السماوية تلقت في أحكامها وجوهرها في وحدانية مصدرها الاصل ، فهي رسالات إلهية ، موحاة بواسطة الوحي ، إلى نبي اختاره الله تعالى في زمانه وبيئته ، وقد يكون مبعوثاً إلى الناس عامة منذ زمنه وحتى مجيء رسالة عامة لاحقة ، وبهذا تمتاز رسالة الاسلام بكونها خاتمة الرسالات السماوية إلى البشر.

وكما يمكن أن تأتي الدراسات المقارنة شمالة لكل ما تضمنته الأديان من أحكام تشريعية وآداب إجتماعية ، فانها يمكن أن تكون مقصورة على الخطوط العريضة والمعالم الأساسية التي ميزت كل واحدة من الديانات من خلال الرجوع إلى الكتاب الأصلي لكل منها . وتمتاز الديانات السماوية الثلاث الكبرى - الاسلام والمسيحية واليهودية - باحتفاظها بالكتب الاصلية التي تدن بها ، وتدعي نسبتها إلى الوحي الإلهي ، وهي القرآن والإنجيل والتوراة . فإذا كانت هناك فوارق جوهرية ظاهرة في بعض ما تضمنته هذه الكتب من المعالم الأساسية للديانة ، أو القضايا التي تدعم انتسابها إلى الوحي ، فإن المقارنة العامة ستختص بهذه النواحي ، دون الدخول

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٦
في التفاصيل التشريعية ، والظروف المحيطة بالتشريعات ، المتشابهة أو المختلفة ، في كل ديانة.

وعلى هذا الصعيد فإن أوجه المقارنة بين الديانات الكبرى الثلاث متوافرة بوضوح ، الامر الذي يقود البحث إلى ما هو جوهرى في ردّ أو تأييد دعوى الانتساب التام إلى الوحي ، من بحث في تواريخ تدوين هذه الكتب ، وملابساتها ، والبحث في مضامينها التي تؤيد أو تنفي إمكان نسبتها إلى الوحي ، كالبحث في مطابقة هذه المضامين للمبادئ الاساسية في الأديان والتي على رأسها « التوحيد » ، أو مطابقتها للوقائع الثابتة تاريخياً ، أو مطابقتها للمعطيات العلمية الاكيدة ، فهذه المعايير الثلاثة هي موازين حقيقية ، تؤدي إلى نتائج حاسمة في معرفة إمكان أو عدم إمكان نسبة المعلومات المتعلقة بها إلى الوحي ، بل هي موازين حاسمة في تحقيق ثمرة أكثر أهمية ، وهي القطع بصدور هذه المعلومات عن الوحي وحده وعدم إمكان صدوره من غيره.

فما خالف أصل التوحيد أو خالف الصفات الخاصة بالذات الالهية ، لا يمكن صدوره عن الله تعالى ، الإله الواحد ، الخالق ، الذي وصف نفسه - جل جلاله - بتلك الصفات.

وما جاء مناقضاً لأوليات الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها نبيّ مختار من الله تعالى لهداية البشر وتركيتهم ، هو الآخر لا يمكن نسبته إلى الوحي ، ولا يمكن أن يكون من بلاغات الانبياء لأقوامهم . وكذلك فإن المعلومات التي لاتنسجهم مع الثوابت التاريخية لا يمكن أن تكون صادقة في انتسابها إلى الوحي الصادر عن إله

كلمة المركز ٧
عالم ، محيط ، يدعو عباده إلى طاعته والاذعان لقدرته.

ومن ناحية أخرى فإن أنواعاً خاصة من العلوم والمعارف التي لم يتيسر لأهل زمان الوحي والنبوة المعرفة بها بشكل من الأشكال ، فإن ورودها بوضوح في نصوص هذا الكتاب أو ذاك سيدعو إلى الجزم بأنها معارف إلهية موحاة ، إذا لا يستطيع نبي أو حكيم أو عبقرى أن يأتي بها على هذه القدر من الوضوح في حدود الامكانيات البشرية المتاحة. فهي بلا ريب من الشواهد الأكيدة على صدق دعوى النبوة وصدق انتساب نصوصها إلى الوحي.

ولعل أهم المصادر الأساسية التي تعود إليها مثل هذه الفروقات في الكتب الثلاث هو تاريخ تدوين هذه الكتب ، وطبيعة التدوين. فإذا كان من اليسير جداً إثبات تدوين القرآن الكريم في حياة النبي محمد ﷺ وبإشرافه المستمر ، وتوفير الشروط الكافية لحفظ نصوصه ومفرداته ، فإن لهذا البحث مع التوراة والإنجيل مساراً آخر ، تثبت فيه الدراسات المختصة ملائمة كثيرة ، كقيلولة بتفسير أوجه الاختلاف والاضطراب في بعض المعلومات الواردة فيها ، والتي لاتستقيم مع بعض المعايير الأساسية التي ينبغي أن تصدق كل ما يتضمنه كتاب ينتسب إلى الوحي ، من معارف ومقولات وأحكام.

وفي هذه الدراسة المقتضية ، والمستفادة في معظمها من دراسات متخصصة أشار إليها الباحث ، ستكون هذه المعايير الأساسية هي محور البحث في خلاصة المعالم الأساسية للديانات التي تضمنتها الكتب الثلاثة ؛ التوراة ، والإنجيل ، والقرآن. مع الالفات إلى أن هذا البحث يأتي في دائرة الدفاع عن الإسلام والقرآن وخاتم

٨ في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن)
الأنبياء ﷺ إزاء دعوات قديمة ، متجددة ، صنعتها الروح العنصرية العدوانية ،
وصاغتها في أحكام مجحفة ، أنشأت عليها أجيالاً ، وأسست عليها ثقافات ، لعبت
دورها في الدوان الغربي والصهيوني الدائم ضد الاسلام والمسلمين .
ثم التأكيد على احترام الدعوات المضادة التي تبتناها بعض رجال الكنيسة
والفكر المسيحي الأوربي أخيراً ، للاعتراف بالروح العدوانية ضد الاسلام ونبي
الاسلام ، والعودة إلى الذات للتخلي عن الصور البالية التي ورثها الماضي ،
والاعتراف بالمظالم التي ارتكبتها الغرب المسيحي بحق المسلمين . في محاولة منهم
للاستجابة إلى دعوات الحوار بين الأديان ، والتي لا تقوم إلا على أساس الاحترام
المتبادل ، وعلى أساس الموضوعية في البحث والتفكير واستبعاد الأحكام المسبقة
التي لم يكن لها غير العصبية العدوانية منشأً .

راجين أن يكون هذا الكتاب قد استوفى أغراضه في حدود المحاور التي
تناولها ، مذكرين بالحديث المروي عن النبي ﷺ في وصف طبيعة التكامل بين
رسالات السماء الحقّة ومهمات الأنبياء ، إذ يقول ﷺ : « وإتّما مثلي ومثل الأنبياء
كرجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلوها ويعجبون
بها ويقول : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

والحمد لله رب العالمين

مركز الرسالة

المُقَدِّمَةُ

يحتل علم مقارنة الأديان أهمية كبيرة في عهده التاريخي والعقائدي ، إذ يندرج في اطار العلمين ؛ علم التاريخ ، وعلم الالهيات (العقائد) ، وعلى الصعيدين يحظى بأهميته الخاصة. فإذا كان اندراجه في علوم الالهيات واضحاً ، كون الأديان تتألف أساساً من جملة من العقائد التي تدور حولها المباحث المعروفة بعلم الكلام ، فإن البعد التاريخي فيه سيقى أساسياً هو الآخر ، لما تحتله المعرفة بتاريخ كل دين من الأديان من أهمية كبيرة في معرفة الدين نفسه ، بدونها لاتتجاوز المعرفة بالدين نفسه حدود المعارف الساذجة التي تحصل بالتلقين والمتابعة والتقليد ، ولاتسمى معارف إلا تجوزاً ، وإن دخلت تحت عنوان ثقافة الشعوب والامم ، والتاريخ وحده هو الذي يمنح هذه الثقافة ، أو التعاليم المتلقاة ، عمقاً وقيمة تستحق بهما أن تدخل في دائرة المعارف.

والأديان السماوية الثلاثة ؛ اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام ، بحسب ترتيبها التاريخي ، هي الأديان الكبرى التي تعززت بكتب سماوية شملت كل ما تستوعبه هذه الأديان من عقائد وشرائع وأخلاق ، إضافة إلى هذا فهي الأديان التي يدين بها أكثر من ثلاثة أرباع البشر ، عبر قرون عديدة ، مع ملاحظة القلة النسبية لأتباع الديانة اليهودية قياساً باتباع الديانتين الاخرين ؛ المسيحية والاسلام.

وقد بقيت الكتب السماوية الثلاثة لهذه الديانات الثلاثة : التوراة ،

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١٠

والانجيل ، والقرآن ، على الترتيب التاريخي نفسه ، كتباً مقدسة لا يرقى إلى قداستها شيء عند أتباعها ، فهي دستور الديانة الكامل ، ورمزها الأول ، ومحور تكوينها الاساس . وعلى مدى القرون حظي كل واحد من هذه الكتب الثلاثة باهتمام بالغ ، بالدرجة الاولى من أتباعه المتدينين برسالته ، تفسيراً وشرحاً وتحليلاً وترجمة ، حتى أصبحت مكتبة القرآن الكريم وحده ، نموذجاً ، تضم عشرات الآلاف من المجلدات في مجالات الدراسات القرآنية المتعددة ، إلى جانب هذا فإن دراسات أخرى نقدية ومقارنة قد عُنت بهذه الكتب الكبرى ، لاسيما في القرن الاخير المنصرم ، حيث اشتد الاحتكاك بين أصحاب الاديان مع رسوخ القناعة بثبات هذه الأديان وعمق تأثيرها في نفوس أتباعها ، ثم ساعد على ذلك تطور مناهج البحث ، فتجاوزت الدراسات النقدية والمقارنة الحديثة مجموع المواقف المجزأة والمفرقة ، التي تناثرت في كتب الكثير من المتقدمين ، لتتحى منحاً شمولي في القراءة والنقد ، وإن جازت كثير منها الموضوعية تحت ضغط الميول الشخصية والدوافع المسبقة التي تحول دون الحيادية الايجابية ، ودون الروح العلمية في القراءة والنقد .

وكتابنا الصغير هذا ليس هو جهد جديد في مشروع دراسة مقارنة للكتب السماوية الثلاثة ، بل هو حصيلة لبعض من تلك الدراسات المقارنة التي توفرت على شروط الموضوعية ، وتناولها مختصون توفروا على إحاطة حقيقية بها ، تاريخاً وعقائداً ، فقدموا مواد تميزت بالجدّة والعمق والدقة في سائر مباحثها .

ونظراً لاهمية هذا الموضوع ، والحاجة الجادة لنشر ثقافة هذا النوع من

الدراسات المقارنة بين الناس ، ولتنوّع هذه المصادر في مباحثها ، واتجاهات أصحابها ، اخترنا أن نضع بين يدي القارئ خلاصة الخلاصة مما توصل إليه هؤلاء الباحثون ، بعد إعادة تنظيم وتنسيق المباحث لكي تنتظم في كتاب صغير كهذا ، تضمن ثلاثة فصول ، اختص كل منها بواحد من الكتب الثلاثة ، واستوعب الاخير منها بعض أوجه المقارنة ، إضافة إلى ما شكلته مباحثه من مادة مقارنة وافية.

وقد اعتمدنا في الفصل الأول دراسة الشيخ محمد جواد البلاغي والتي أعدها بأسلوب حوار في كتابه المفصل « الرحلة المدرسية » ، وفي الفصل الثاني ، مع الانجيل ، اعتمدنا دراستين ، إحداهما ، وهي الاوسع ، دراسة محقق وباحث وعالم بالاديان ، مسيحي الديانة ، هو الدكتور موريس بوكاي ، في كتابه القيم « القرآن والتوراة والانجيل والعلم — دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ». والثاني لباحثة من أصل مسيحي قرأت الاناجيل ، وقرأت القرآن فانتقلت إلى الاسلام وكتبت حصيلة ملاحظاتها في كتاب بعنوان « نظرة عن قرب في المسيحية ». وفي الفصل الثالث احتجنا إلى كتابة المبحث الأول لعدم استيفائه جيدا في هذه المصادر الثلاثة ، ثم عدنا إلى موريس بوكاي بالدرجة الاولى في المبحث الثاني وبعض الثالث.

راجين أن نكون قد وفقنا في هذا العمل ، والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الفصل الأول

معالم أساسية في التوراة

المبحث الأول : من صور الوثنية في التوراة

١ . اليوم السابع :

في شأن الله جل جلاله وخلقه السماوات والأرض ، تقول التوراة :
«استراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل ، وبارك الله اليوم السابع
وقدّسه ، لأنه استراح فيه من جميع عمله الذي عمل » !^(١)
ولا يخفى ما في هذا التعبير من جفوة ، إن لم يكن سوء اعتقاد ، فكيف
ينسب إلى الله التعب ليكون محتاجاً إلى الاستراحة ؟

وفي القرآن الكريم تجد أجمل ما ينقض هذا الكلام ، وينزه الله تعالى من
كل دلالاته : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ
بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ** ﴾^(٢) .

فلم يكن الله تعالى بعد خلق السماوات والأرض بحاجة إلى الاستراحة.

لقد أدركت « جمعية كتاب الهداية » المطبوع باشرف المرسلين

(١) سفر التكوين ، الفصل ٢ ، العدد ٢ و ٣ .

(٢) سورة الأحقاف : ٤٦ / ٣٣ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١٤
الأمريكان ما في هذا النصّ من اشكاليات ، فكتبت تقول : « إن الله لم يقل
وبارك الله اليوم السابع وقُدّسه ... » ! ^(١)

٢ . شجرة الجنة :

إن حاصل كلام التوراة من قصة آدم والشجرة الممنوعة في الجنة ينطوي
على غرائب وأمور منكّرة ، ففيها : « إن الله جعل آدم في جنة عدن وقال له : من
جميع شجر الجنة تأكل ، وأما شجرة معرفة الحسن والقبيح فلا تأكل منها ، لأنك
يوم تأكل منها موتاً تموت ... ثم خلق الله من آدم امرأته وكانا عريانين وهما لا
يخجلان .. وكانت الحية أحيّل حيوانات البرية ، فقالت لحواء : أحقاً قال الله لا
تأكلان من كل شجر الجنة ؟ ^(٢)

فقالت حواء : من شجر الجنة نأكل ، أما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة
فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا .

فقالت الحية للمرأة : لا تموتان ، بل إن الله عالم انه يوم تأكلان منه تنفتح
أعينكما وتكونان كالله عارف في الحسن والقبيح !

فلما أكلا منه انفتحت أعينهما وعرفا أنهما عريانان ، فصنعا لأنفسهما
مآزر ! ^(٣)

وهنا أكثر من رؤية منكّرة عصبية على التبرير :

— فكيف يقول الله : انكما إن أكلتما من هذه الشجرة تموتا من يومكما ،

(١) جمعية كتاب الهداية ٤ : ١٧٤ .

(٢) سفر التكوين ، العدد ٨ ، فصل ٣ .

(٣) سفر التكوين ، الفصل ٣ ، العدد ٨ .

وقد أكلنا منها فلم يموتنا؟!

— وإذ استنكرنا أن ينسب الحديث إلى الحيّة ، فإن يوحنا يجعل في رؤياه مخرجاً من هذا حين يقول : « إن الحيّة القديمة هو المدعو إبليس والشيطان الذي يُضللّ العالم ».^(١)

— ولكن يبقى السؤال : كيف يكون إبليس والشيطان الذي يُضللّ العالم أكثر صدقاً من الله تعالى وأكثر منه جلّ شأنه نصيحةً لآدم!؟

لقد حاولت جمعية الهداية أن تخرج من هذا المأزق الحرج ، فأولت الموت الذي حذر الله منه آدم وحواء بأنه الموت الروحي ، وليس هو الموت الحقيقي.^(٢)

لكن هذا التأويل لا يشفع لأصحابه ، لأن التوراة نفسها تنفيه ، فهي من ناحية نسبت إلى آدم الموت الروحي قبل أن يأكل من الشجرة ، فقد كان بحسبها لا يعرف الحسن والقبيح ، حتى أنه لا يميز أنه عريان ، ولا يخجل ، فليس له إذن حياة روحية ، فإن من يكون على حال يدرك فيها قبح المخالفة ، لا يصح السخط عليه أصلاً ، فكيف يصح السخط على من لا يعرف الحسن لكي يعرف حسن الطاعة ويرغب فيها ، ولا يعرف القبيح والشر لكي يعرف قبح المخالفة للوصية ؟

ومن ناحية ثانية ، أوجبت لآدم الحياة الروحية حيث أكل من الشجرة ، حتى صار ، بحسب عبارتها ، كالله ! عارف بالحسن والقبيح ، والخير والشر ،

(١) الاصحاح ١٢ . العدد ٩ .

(٢) كتاب جمعية الهداية ٢ : ١٣١ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١٦
وأصبح قابلاً بمعرفته لأن يشرق في قلبه نور العرفان والايمان ، والرغبة في
الطاعة ، والاستغناء من الخطأ.

وهذا يعني أن آدم قد اكتسب حياته الروحية بعد أن أكل من الشجرة كما
وعده الشيطان ، ولم يتعرض لموت الروح ، ناهيك عن موت الجسد ، كما حذره
الله !؟

فليس في هذا التأويل إذن مخرج من ذلك المأزق ، الذي يجعل نص
التوراة هذا عرضة للتساؤل والتشكيك بمصدره.

وتمّة تأويل آخر احتجّت به جمعية الهداية في الموضوع نفسه ، فقالت قد
يكون المراد من قوله تعالى لآدم إذ أكل من الشجرة : « موتاً تموت » أنه يصير
من يعرض عليه الموت ، ولا يبقى خالداً.

لكن هذا التأويل هو الآخر تردّه التوراة نفسها ، فقد صرحت في مقدمة
هذه القصة بأن آدم لم يخلق للبقاء ، وإن الحراسة أقيمت على شجرة البقاء لكي
لا يأكل منها آدم فتدوم حياته ، وأنه من يوم خلق قد غرس التقدير في جسمه
بذور الفناء.

فلا يمكن إذن الاعتماد على مثل هذا التأويل ، وعندها لا يمكن الخروج
من هذا المأزق ، كما لا يمكن تقديم الصورة المنسجمة لهذه القصة من افادات
التوراة.

لكن الرجوع إلى القرآن الكريم هو الذي يوفر لنا الصورة المنسجمة ، التي
ميزت بوضوح بين نصيحة الله تعالى ، وبين خداع إبليس ، ولم تنسب إلى آدم
الجهل ، بل قد علمه الله تعالى الشيء الكثير قبل هذا ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ

الفصل الأول : معالم أساسية في التوراة ١٧
كُلَّهَا ﴿^(١)﴾ ثم حذر من الشيطان ، وبين له أنه عدو له ولذريته.. ولم يكن ثمّة
حية تتكلّم لتكلف تأويلها بإبليس ، بل كان إبليس نفسه هو الذي ﴿وَسْوَسَ
إِلَيْهِ﴾ ^(٢) ، ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ ^(٣) فأكلا من الشجرة.

ولم يكونا عريانين قبل ذلك ، يجهلان قبح العري ، بل كان عليهما لباس ،
فلما أكلا من تلك الشجرة أصبح ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا
سَوْآتِهِمَا﴾ ^(٤).

ففي القرآن وخلافاً لما في التوراة ، تجدد تنزيه الله تعالى من كل ما لا
يليق ، وتجدد النسق المتماusk للأحداث ودواعيها ، الذي لا يضطرك إلى
البحث عن تأويلات يصعب تقبلها ، ناهيك عن أن تكون مردودة هي الأخرى
بما ورد في السياق من تفاصيل.

أما التوراة فتذهب إلى ما هو أغرب من ذلك كله وأكثر منه نكارة ، حين
تجعل من الله شخصاً مجسماً متنقلاً ، تغيب عنه الأشياء فلا يعلمها إلا حين
يسأل عنها ! بل إنه جل شأنه سوف يخشى من آدم أن يكون إلهاً ، كواحد من
آلهة لهم وجود وسلطان إلى جنب الله وسلطانه !!

إنها تقول ما حاصله : أن آدم وحواء — بعد أن ظهرت عوراتهما — سمعا
صوت الإله متمشياً في الجنة ! فاحتبنا عنه في شجر الجنة ، فنادى الله آدم : أين أنت !؟

(١) سورة البقرة : ٢ / ٣١ .

(٢) سورة طه : ٢٠ / ١٢٠ .

(٣) سورة الأعراف : ٧ / ٢٢ .

(٤) سورة الأعراف : ٧ / ٢٧ .

فقال آدم : سمعت صوتك فاخبتأت لأني عريان !

فقال الله : من أعلمك انك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة ؟! (١)

وبعدئذ قال الله تعالى : هوذا آدم صار كواحد منّا !! عارف بالحسن والقبيح ، والآن يمدّ يده فيأخذ من شجرة الحياة أيضاً ، فيأكل ويعيش إلى الأبد !!

فأخرجه الله من الجنة ، وأقام شريقها لهيب سيف متقلّب لحراسة طريق الشجرة !! (٢)

وهكذا ترتكب التوراة أخطاءً فادحة ، وتقع في سلسلة من التناقضات الصارخة ، تفضفي على الخالق المدبر الذي آمنت به خالقاً أحداً ، صفات هي من صفات المخلوقين ، فهو بحسب الصورة المتقدمة جسم محدد الأبعاد ، يتمشى في الحديقة ! ثم يختفي عنه آدم وحواء ، فلا يراهما ولا يدري أين هما ! ثم لا يعلم أنهما قد أكلا من الشجرة الممنوعة حتى يستنبط ذلك استنباطاً من قول آدم إنه عريان !

ثم انه يخشى أن يأكل آدم من شجرة الخلد ، فيصبح إلهاً يشارك الله في سلطانه ! لا سيما بعد أن أصبح يشارك الاله في معرفة الحسن والقبيح ! وأكثر من ذلك يصور لنا نص التوراة الأنف الذكر أن هناك أكثر من إله عارف بالحسن والقبيح ، حتى يقول الله : « هو ذا آدم صار كواحد منّا » وكأنه يتحدث عن جماعة من الآلهة !

(١) سفر التكوين ، الفصل الثالث . العدد ٨ . ١٢ .

(٢) سفر التكوين ، الفصل ٣ . العدد ٢ . ٢٤ .

الفصل الأول : معالم أساسية في التوراة ١٩
وهذا ما لا يستقيم مع مبادئ التوراة نفسها التي آمنت بإله واحد ، خالق ،
لا شريك له.

٣ . مرة أخرى يتكرر المعنى نفسه :

في قصة بابل ، وبعد اختلاف اللغات ، يقول سفر التكوين في التوراة : ان
بني آدم اجتمعوا بعد الطوفان لكي بينوا لهم مدينة حصينة عالية لئلا يتبددوا ،
فنزل الله لينظر المدينة !! وقال الله : هذا شعب واحد ، ولسان واحد ، وهذا
ابتداؤهم بالعمل الآن ، لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه.. تعالوا نزل
ونبلبل لسانهم ، حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض !!^(١)

فها هو الله كما تصوره التوراة ، تخفى عليه أنباء عباده ، فيحتاج الى النزول
والاطلاع عليهم لتجسس أخبارهم !

ثم ها هو مرة أخرى يخشى قوتهم وتماسكهم ، فيستعين بملائكته - على
ما يبدو - ليزرع أسباب الاختلاف بين أبناء المدينة الواحدة المتلاحمين ،
ليضع بينهم بذور الفتنة والاضطراب بيده !

ليس في سائر الأديان ما هو أكثر غرابة من هذا التصور لصفات الله تعالى ،
ولطبيعة أفعاله ، وطبيعة علاقته بعباده.

كما أنه ليس هناك ما هو أكثر سخفاً من هذا التفسير لمنشأ اختلاف
الأسن وتعدد اللغات .

انها تصورات تكشف عن رؤية لاهوتية مفرطة في السلبية ، فهي حين
تريد أن تنسب كل شيء لله وحده ، لا تتوانى في تصغير الله تعالى ، وإدخاله

(١) سفر التكوين ، الفصل ١١ . العدد ٤ - ٨ .

المسالك التي تريد ، لتنسب إليه كل شرّ يقع بين بني البشر نسبةً مباشرة.

لكن هذا الفاعل للشر ، والذي لا يتخلف فعله ، هو في الوقت نفسه محتاج لكي يطلع على أحوال البشر إلى كل أدوات الاطلاع الطبيعية التي يحتاج إليها الانسان نفسه !

وكأنهم بنسبتهم هذه الأفعال الى الله تعالى وبهذه الطريقة الفجة ، إنما يريدون أن يوقروا لأنفسهم الرضا والقناعة بأن التشردم والشتات الذي أصاب بني إسرائيل إنما هو من فعل الله وحده ، وبهذه الأساليب المباشرة ، والتي يكون بعضها نتيجة « حسد » الله تعالى شأنه لعباده على ما يراهم عليه من قوة ومجد وتماسك !!

٤ . يعقوب يصارع الله !!

يقول العهد القديم : إن يعقوب صارعه انسان إلى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر على يعقوب ضرب على فخذه فانخلع !

وقال الإنسان ليعقوب : أطلقني !

قال : لا أطلقك إن لم تباركني !

فقال ليعقوب : لا يدعى اسمك يعقوب ، بل « يسرائيل » أي يجاهد الله !

لأنك جاهدت مع الله ومع الناس وقدرت !!

وسأله يعقوب عن اسمه ، فقال : لماذا تسأل عن اسمي ؟ وباركه هناك ،

فدعا يعقوب اسم المكان : « قنئيل » أي وجه الله ! قائلاً : لأني رأيت الله .. ونجيت

نفسي !! ^(١)

(١) سفر التكوين . الفصل ٣٢ . العدد ٢٤ . ٣١ .

الفصل الأول : معالم أساسية في التوراة ٢١

وهكذا يتمثل الله جل شأنه بصورة إنسان ، وينزل الى الأرض ، ويصارع يعقوب حتى طلوع الفجر ، فلا يقوى عليه ، بل يكون يعقوب هو المتغلب القابض على « خصمه » ! فيتوسل به ذلك الإنسان - الذي هو الله كما يزعمون - أن أطلقني ! فيأبى يعقوب حتى يأخذ منه البركة التي يريدتها عنوةً !

كيف يتصور عاقل أن هذا الكلام هو من وحي السماء ، أم من كلام الأنبياء؟! دع عنك المورد الأخير « لأني رأيت الاله وجوها لوجوه » ! فإذا كان يصور لله وجوهاً ليراد بها معاني غائبة عنا ، فكيف تكون له هو وجوه ، لا وجه واحد؟!

٥ . الله في وسط العليقة !!

ما زالت التوراة تتحدث عن الله جل جلاله وكأنه جسم كالإنسان ، ينزل إلى الأرض مرة بعد أخرى ، فلما أراد أن يوحى إلى موسى نزل إليه الى الأرض ليكلمه !

تقول التوراة : « إن موسى كان يرعى الغنم ، فجاء بها إلى حوريب ، وظهر ملاك الله له بلهبة نار من وسط عليقة ^(١) ، وإذا العليقة تتوقد ولا تحترق ، فمال موسى لينظر ، فلما رآه الله مال ، ناداه الاله من وسط العليقة ، وقال له : أنا إله أبيك إبراهيم ، إله اسحاق ، إله يعقوب ! فغطى موسى وجهه ، لأنه خاف أن ينظر إلى الاله » ! ^(٢)

وهكذا تميل التوراة إلى تجسيم الاله وتجسيده ، وكأن صورة فرعون

(١) العليقة : ما تغلفه الدابة من شعيرة ونحوه. انظر لسان العرب ١٠ : ٢٦٧ . علق.

(٢) سفر الخروج . الفصل ٣ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٢٢
الذي كان يدعي أنه إله المصريين قد استحوذت على عقولهم وقلوبهم ، فلا
يستطيعون الافلات منها ، فهم يعيشون أبداً في إichاءات ديانة المصريين
القدامى وتصوراتهم عن الآلهة.

ومع ذلك فقلما أوردوا نصاً في هذا الشأن إلا والاضطراب أو التناقض
شاحصان فيه ، ففي أول هذا النص ظهر ملاك الله لموسى بلهبة نار في وسط
العليقة ، لكن سرعان ما يكون هذا الذي ظهر في وسط العليقة هو الله نفسه !
ظهوراً قابلاً للرؤية الطبيعية بجسم محدد المعالم ، غير أن موسى غلبه الخوف
فغطى وجهه لئلا يراه !

٦ . بنو إسرائيل يرون الله !!

إذا كان موسى عليه السلام قد تخوّف من النظر إلى الله للمرة الأولى ، فإنه وقومه
سيرون الله مجتمعين ، كما تزعم التوراة : « وصعد موسى وهارون وناداب
وايهوا وسبعون من شيوخ بني اسرائيل ، فأروا إله اسرائيل ، وتحت رجليه شبه
صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء في النقاوة ، لكنه لم يمد يده
إلى شراف بني إسرائيل ، فأروا الله ، وأكلوا وشربوا » ^(١).

انها لا تعدو كونها خصلة من خصلات المصريين القدامى في محظر
الآلهة ! وكل ما صنعتته التوراة انه استبدلت الآلهة المصرية بإله صعدوا إليه هذه
المرة ، ومنحته صنعة من العقيق تحت رجليه لم يرها المصريون تحت أرجل
أهنتهم.

إنها تتحدث عن أحلام بني إسرائيل في رؤية الله وكأنها حقيقة قد وقعت !

(١) سفر الخروج . الفصل ٢٤ . العدد ٩ - ١١ .

الفصل الأول : معالم أساسية في التوراة ٢٣

تلك الأحلام التي تحدث عنها القرآن وعن عواقبها ، قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ (١) !

وأيضاً : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ (٢) أي أنكم رأيتم بأمر أعينكم كيف أخذتكم الصاعقة جزاءً على طلبكم الأهوج هذا !

لكن الذي يبدو هنا أن بني إسرائيل وهم يؤرخون لأنفسهم ، لم يكتفوا بتزوير الوقائع ، بل فضّلوا الانتصار لأحلام أسلافهم الهابطة حتى على أصل التوحيد وما يتعلق به من صفات الكمال والجلال .

٧ . الله يتراجع عن قتل موسى !!

بعد حديث سفر الخروج عن موسى وفرعون ووعد الله موسى بأن يكون معه ، قالت ما حاصله : إن الله سيأتي بكل عجائبه ويضعها أمام فرعون ! على أن يحضر موسى هذا الموقف ، لكن لماذا موسى إلى مصر بأمر الله ومواعيده التقاه الله ! وطلب أن يقتله !! فأخذت صفورة زوجة موسى صوّانة ، وقطعت غرلة ابنها ، ومست رجل موسى بالدم ، فانفك الله عنه !! (٣)

عجباً عن أي إله تتحدث التوراة ، إن لم يكن واحداً من آلهة المصريين

القدامي ؟!

(١) سورة النساء : ٤ / ١٥٣ .

(٢) سورة البقرة : ٢ / ٥٥ .

(٣) سفر الخروج . الفصل ٤ .

٨ . يحارب ويحتر !!

سينزل الله — كما تزعم التوراة — مرة أخرى إلى أرض مصر ، ليحارب المصريين هذه المرة ، لكنه سوف لا يستطيع أن يميّز بيوت أوليائه عن بيوت أعدائه ، فأمر أوليائه أن يضعوا على أبواب بيوتهم علامات ، فاذا رآها تجاوزها إلى بيوت الآخرين ليضرها !

«إن الله أمر بني إسرائيل أن يذبحوا الفصح ، ويلطخوا العتبة العليا والقائميتين من أبوابهم بالدم ، لأن الله يجتاز ليضرب المصريين ، فحين الدم يعبر عن الباب»!!^(١)

المبحث الثاني : الأنبياء في التوراة

١ . هارون بين التوراة والقرآن :

مع أن التوراة تقرّ بأن الله اختار هارون للنبوة مع أخيه موسى ، قبل حادثة العجل ، وبعدها ، دون أن ينسخها^(٢) ، فهي تعرض له صورة مقززة ، حين تنسب إليه صناعة العجل وعبادته ، الأمر الذي ينسبه القرآن إلى السامري.

ففي التوراة : إن بني إسرائيل قالوا لهارون : اجعل لنا آلهة يسيرون أمامنا ! فقال لهم : انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نساءكم وأطفالكم وآتوني بها ، فأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك وصيره عجلاً مسبوكاً ، فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل !

فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمام العجل ، ونادى هارون : غداً حجّ للرب ،

(١) سفر الخروج . الفصل ١٢ .

(٢) سفر اللاويين . الفصل ١١ و ١٤ ، سفر العدد . الفصل ٢ و ٤ و ١٩ .

فاصعدوا في الغد على المذبح وقدموا ذبائح سلامة !^(١)

ومع أن العهد القديم لا يتوَّع في نسبة الشرك الى سليمان أيضاً ، حين
أمال قلبه النساء المشركات — بزعمها — فذهب وراء « عشтарوت » إلهة
الصيدونيين ، و « ملكوم » إله العمونيين و « كموش » صنم الموابيين !^(٢)
غير أن القرآن الكريم لا يعرف نبياً يشرك بالله شيئاً ! وكيف يكون داعية

إلى التوحيد من ينقض التوحيد بنفسه ويقرّ الشرك ويمارسه !!

وهل انقطع البشر ليختار الله من المشركين أنبياء له ؟!

ان الصور التي يعرضها القرآن للأنبياء هي صور الأنبياء التي لا يداخلها

ريب على الاطلاق.

وفي قصة هارون نموذج التمييز بين صورة النبي في القرآن ، ونظيرتها في

التوراة.

ان القرآن يبرئ هارون من كل ذلك ، فهو الذي خاطب قومه حين عبدوا

العجل بكل ألم : ﴿ **وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ**

رَبِّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾^(٣) . فأبوا عليه وتمردوا ، وقالوا :

﴿ **لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ** ﴾^(٤) فلما عاد موسى شكوا

إليه هارون : ﴿ **قَالَ ابْنُ أُمَّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي** ﴾^(٥) .

(١) سفر الخروج . الفصل ٣٢ .

(٢) سفر الأيام الأول . الفصل ٢٨ . العدد ٦ .

(٣) سورة طه : ٩٠ / ٢٠ .

(٤) سورة طه : ٩١ / ٢٠ .

(٥) سورة الأعراف : ٧ / ١٥٠ .

فأين هذه الصورة من تلك؟!؟

والقرآن حين يبرئ هارون عليه السلام من هذا الدور ، ينسبه في الوقت نفسه الى السامري^(١) ، الذي هو أحد أفراد بني اسرائيل الذين كانوا في صحبة موسى وهارون.

عندئذٍ جاء شرح العهد القديم لينكروا وجود السامري آنذاك ، ظناً منهم أنه المنسوب الى مدينة السامرة التي لم تقام إلا بعد عهد موسى بزمن طويل^(٢).
غافلين عن أن هذه النسبة موجودة عندهم في التوراة مع مواضع عديدة بلفظ « الشمروني » نسبة الى شمرون بن يساكر بن يعقوب ، وقد كان الشمرونيون مع موسى عليه السلام^(٣).

٢ . من هو الذبيح ؟

في العهد القديم تناقض واضح في تسمية الذبيح من ولد إبراهيم الخليل ، أهو اسحاق ، أم إسماعيل ؟
تقول التوراة ان الله خاطب إبراهيم في حين أمره بذبح ابنه ، فقال :
« ابنك ، وحيدك » يكررها ثلاث مرات ، ثم تسميه بعد ذلك فتقول :
« اسحاق ».

لكن التوراة نفسها تعترف بان إسحاق لم يكن وحيد ابراهيم يوماً ما ،

(١) سورة طه : ٢٠ / ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٥ .

(٢) جمعية كتاب الهداية ١ : ٣٧ .

(٣) سفر العدد . الفصل ٢٦ . العدد ٢٣ .

الفصل الأول : معالم أساسية في التوراة ٢٧

فلقد ولد له اسماعيل قبل اسحاق بخمسة عشر سنة ^(١) ، وهذا يعني أن إسماعيل هو الذي كان وحيد إبراهيم على مدى خمسة عشر سنة ، فإذا كان النداء في تعريف الذبيح بـ « ابنك ، وحيدك » فهو إنما يريد إسماعيل ، دون شبهة ، وقبل أن يولد إسحاق .

ويؤيد هذا أن المروي عن أهل البيت عليهم السلام هو كون الذبيح إسماعيل لا إسحاق عليه السلام ^(٢) .

٣ . لوط وابنتاه :

صورة بشعة تقدم التوراة عن لوط عليه السلام ، لا ترتضى لذي عقل من سائر البشر ، ناهيك عن كونه نبياً تعرف التوراة نبوته .

ففي العهد القديم أن الله تعالى لما قلب سدوم - بلد قوم لوط - وأنجى لوطاً ، كان معه ابنتاه ، فسكن معهما في مغارة الجبل ، فتشاورت ابنتاه واتفقتا على أن تسقيه خمرًا ثم يضطجعا معه ! فسقتاه خمرًا ذات ليلة ، واضطجعت معه الكبيرة ، فواقعها وهو لا يعلم ! وسقتاه في الليلة الثانية واضطجعت معه الصغيرة فواقعها وهو لا يعلم ! فحبلت البنتان من أبيهما ، وولدتا !! ^(٣)

لا يرتاب أحد في أن هذه القصة إنما هي من نسيج خيال رجل مصاب بالشذوذ أو الكبت الجنسي المفرط ! وإلا فكيف يتم مثل هذا في الواقع ؟ ناهيك عن كونه حديث عن نبي اصطفاه الله للهداية والتزكية !

(١) سفر التكوين . الفصل ١٦ . العدد ٧ . ١٤ والفصل ٢٢ .

(٢) راجع البرهان في تفسير القرآن / البحراني ٤ : ٦١٨ في تفسير الآيات :

١٠٠ — ١١٣ من سورة الصافات وتفسير الميزان / الطباطبائي ٧ : ٢٣٢ — ٢٣٤

في تفسير الآيات : ٧٤ . ٨٢ من سورة الأنعام .

(٣) سفر التكوين . الفصل ١٩ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٢٨

فهل بلغ به السكر هذا الحد الذي أنساه على طول الوقت انه ليس معه من النساء سوى ابنتيه ؟

وهل بلغ به السكر الى الحد الذي يفيق معه وهو يجامع فتاة باكر الى نهاية المطاف ؟

وإذا بلغ به كل هذا الحد ، ترى أليس سيرى بعد صحوته في نهار الغد آثار ما وقع على نفسه ؟

ثم هل يتكرر ذلك كله في الليلة التالية دون أن يشعر بشيء منه ؟
وأهم من هذا كله : كيف أسلم هذا الشيخ نفسه لابنتيه يسقيه الخمر الى هذا الحد المبالغ فيه ، مرّة بعد أخرى ؟!

ترى هل سقيه الخمر زرقاً بالوريد بعد أن وضعاً له مخدراً في طعامه أو شرابه ؟
اذا كانت التقنية الطبيّة قبل نحو الفي عام قبل الميلاد تسمح بمثل هذا ، فهو الاحتمال الوحيد لصدق الفصل الاول من القصة ، لكنه لا يسمح بقبول غفلة الشيخ آثار ما وقع في ليلته في نهاره التالي ، لتكشف اللعبة ، فلا تتكرر معه مرّة أخرى !
ثم كيف لعبت الصدفة لعبتها ، لتحبل البنتان معاً من الجماع الأول في حياتهما ؟!
هذه الأسئلة ، وغيرها أيضاً تنور على الفور حين نعلم أن التوراة تزعم أنها تتحدث عن وقائع تاريخية لعقلاء الناس ، أما إذا كانت واحدة من قصص الخيال ، فهي وشأنها.

٤ . كيف أخذ يعقوب البركة من أبيه ؟

كان اسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ قد فقد بصره ، وله أولاد ، فأراد أن يبارك ولده البكر «عيسو» دون أن ندري ؛ أبرغبة منه ، أم بأمر من الله ؟

الفصل الأول : معالم أساسية في التوراة ٢٩

فقال لولده عيسو : « اذهب ، وصد صيداً ، واصنع لي منه أطعمة ، كما أحبّ ، حتى تباركك نفسي قبل أن أموت » وكان يعقوب يسمع ، فانطلق قبل عيسو وأخذ جديين من المعز ، وصنع منهما أطعمة ، ولبس ثياب عيسو ، وزوّر نعومة يديه وعنقه بأن جعل عليه جلد جدي لكي يكون مشعراً كعيسو ! وقال لأبيه إسحاق : أنا عيسو ، فعلت كما كلمتني ، كل من صيدي !

فقال اسحاق . الذي يبدو أنه ارتاب قليلاً ربما لاختلاف نبرة الصوت . :

هل أنت ابني عيسو ؟

قال يعقوب : أنا هو !

فأكل اسحاق من الصيد ، وشرب خمراً ! ثم بارك يعقوب !

فجاء عيسو بصيده الى أبيه يطلب البركة التي وعده بها ، فلما عرف اسحاق المكر من يعقوب ، ارتعد ارتعاداً عظيماً ، وقال : من هو الذي باركته ، ويكون مباركاً؟!

فصرخ عيسو ، وقال لأبيه : باركني أنا أيضاً !

فقال اسحاق : « جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك » !

فقال عيسو : أما بقيت لي بركة ؟

قال اسحاق : « إني جعلته سيداً لك ، ودفعت إليه جميع اخوته عبيداً ، وعضدته بحنطة وخمر ، فماذا أصنع إليك يا بنيّ »؟! ^(١)

فهل تنتقل بركة النبوة بهذه الطريقة ؟

فمع فرض وقوع النبي بالخديعة ، وإهدائه ميراث النبوة للذي مكر به

(١) سفر التكوين . الفصل ٢٧ . العدد ١ . ٤٠ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٣٠
وخذعه ، فهل سينقل ميراث النبوة للماكر الخادع ، دون أن يكون لله تعالى أي
دور يذكر في اختيار نبيه ؟

هذا إذا ما افترضنا صحة ما تدعيه التوراة التي بين أيدينا من أن انتقال
ميراث النبوة كان متوقفاً على أكلة شهية ترضي النبي ، يعقبها شربة من خمر
تطلق أشجانه !!

لكأن ناسج هذه الأسطورة أراد لبني إسرائيل أن يتعلموا أن المكر والخديعة
هي طريق الفوز ، وليس ثمة صلاح ولا تقوى ولا صدق ولا اخلاص.

٥ . بيت داود عليه السلام :

يدو أن من مهندسي التحريف في التوراة رجالاً اصيبوا بالشذوذ الجنسي
الحاد ، فأسقطوا هواجسهم ونزعاتهم على بيوت الأنبياء بكل صلافة ، فلم تكن
قصة لوط وابنتيه هي النموذج الوحيد لهذا الاسقاط ، بل سيتابع هذا العامل
انعكاساته في الكثير من بيوت الأنبياء !!

وابتداءً من أولاد يعقوب ، سيمارس يهوذا الزنا مع كتنه ، زوجة ابنه البكر ،
ويتخذها صاحبة سر أمدأ طويلاً ، حتى تلد منه ولدين ، هما فارض ، وذراح !^(١)

وفارض هذا هو جدّ الأنبياء اللاحقين : داود ، وسليمان ، وعيسى عليه السلام !

ومع أن التوراة تقول : « لا يدخل ابن الزنا في جماعة الرب حتى الجيل العاشر »^(١).

فقد دخل داود هذه الجماعة وهو الابن العاشر لفارض.

وسوف ينتقل هذا الداء – بحسب هذه الأساطير – الى بيت داود ، ويفتك

(١) سفر التكوين . الفصل ٣٢ .

(٢) سفر التثنية . الفصل ٢٣ . العدد ١٠ .

بأهل هذا البيت أي فتك !!

فسيرتكب « أمنون » ابن داود الأكبر فضيحة الزنا ، وعلى مدى غير قصير ، مع اخته « ثامار » ! ويكون الوسيط بينهما ابن عمّهما « يوناداب » ابن أخي داود ! وسيعلم داود بهذا الأمر ، لكنه لا يعاقب ولديه بحدود الشريعة ، لأنه يجيها ، « ولم يُحزن داود روح أمنون ابنه ، لأنه أحبه ولأنه بكره » ! فلما ثار ولده الآخر « ابشالوم » شقيق ثامار ، فقتل أمنون « بكى داود بكاءً عظيماً ، وناح عليه كلّ الأيام » .

لكن التوراة سوف تعطف على ابشالوم الذي ثار لشقيقته ، فهو لم يشار تديناً وعقّة ، لأنه قد مارس مثل فاحشة أخيه !! « ان ابشالوم ابن داود زنا بسراري أبيه ونسائه على السطح بمنظر بني إسرائيل » وحتى هذا لم يغضب نبي الله داود ، إذ « لما مات بكى عليه داود كثيراً بصراخ ، قائلاً : من يجعل موتي أنا عوضاً عنك يا ابشالوم ! ابني يا ابني » !^(١)

بل سيصل الأمر عند صموئيل الى داود النبي ﷺ نفسه ، إذ سيعشق زوجة واحد من قواد جيشه « اوريا » وينصب له مكيدة ، فيدفعه في حرب غير متكافئة حتى يقتل ، فيأتي داود امرأته على الفور ، وتحمل منه من الزنا !!^(٢) فأى شذوذ هذا الذي كان يسوق ناسج هذه الخيالات الخبيثة ، ليصنع أمة لا يوقفها عن الخيانة شيء .

ولم يتعود قراء التوراة الوقوف على ما فيها من تناقضات فاحشة ، فلم

(١) كتاب صموئيل . السفر الثاني . الفصل ١٣ و ١٦ و ١٨ ، النسخة السبعينية .

(٢) كتاب صموئيل . السفر الثاني . الفصل ١١ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٣٢
يرتعدوا من هذه الصور ، حتى وهم يقرأون في مزامير داود مناجاته ، وهو
يخاطب ربه سبحانه وتعالى ، قائلاً : « عن شريعتك لم أمل ، أما أنا فلم أترك
وصاياك ، من كل طريق شرّ منعتُ رجلي ، لكي أحفظ كلامك ، عن أحكامك لم
أمل ، لأنك أنت علمتي .. أما وصاياك فلم أضلّ منها » (١).

فكيف يليق أن تنسب تلك السفاسف الى صاحب هذا الخطاب القدسي ،
وهو بعد النبي الذي اختاره الله لهداية قومه وتزكيتهم والأخذ بأيديهم إلى
سبيل الهدى والرشاد !؟

٦ . إرهاب موسى ويوشع :

تصف التوراة أنبياء بني إسرائيل بقسوة لا نظير لها :

١ — فلما تغلب بنو إسرائيل على المديانيين وسبوا نساءهم وأطفالهم ،
أمرهم موسى أن يقتلوا كل ذكر من الأطفال ، وكل امرأة تيب ! وأما صغار النساء
اللواتي لم يقربهن رجل فإنهن يبقين حيات لهم وقد كنّ اثنتين وثلاثين ألفاً ! (٢)

ترى كم قتل موسى من الأطفال والنساء في حكم واحد ؟ ولأي ذنب
أجرى عليهم هذا الحكم ؟

٢ — ومثل هذا صنعه موسى (بزعم التوراة) عند استيلائه على الأموريين ،
وعند الاستيلاء على مملكة عوج !

٣ — تزعم التوراة أن الله أمر بني إسرائيل أن يحترقوا مدن الحيثيين
والأموريين والكنعانيين والفرزيين واليبوسيين ، ولا يبقوا منها نسمة أصلاً ، من

(١) مزامير داود . المزمور ١١٩ .

(٢) سفر العدد . الفصل ٣١ .

الفصل الأول : معالم أساسية في التوراة ٣٣
البشر أو من البهائم !

وهذا ما صنعه يوشع بن نون - بحسب التوراة - في حروبه ، حتى كان عدد
المقتولين بأمره من هذه المدن يعد بمئات الألوف ! (١)

فهل كانت التوراة تنقل في هذه الأخبار سير الأنبياء وشريعة السماء ، أم
أخا كانت ترسم النزعة الاسرائيلية في الابداء والافناء ، المنبعثة من حقد
متحدّر على سائر بني الانسان ، والذي كان مصدراً لاعتقادهم الهابط بأنهم
شعب الله المختار الذي له أن يملك مصائر شعوب الدنيا ويتحكم بها !؟

انها النزعة الاسرائيلية العنصرية بلا شك ، صوّرت على أنها شريعة السماء
وفعل الأنبياء لكي يتدين بها اليهودي ، ولا يجد رادعاً أمام تحتكه بقيم
الانسانية وكرامة وحقوق الانسان ، هذه المبادئ التي عاشت عليها الصهيونية
المعاصرة وأقامت بواسطتها دولتها اللقيطة ، مع ملاحظة أن الأكثر تديناً منهم
« اليمين المتطرّف » هو الفصيل الأكثر تعصباً لهذه المبادئ الهمجية والأخلاق
الوحشية.

انه الخلق الاسرائيلي القديم الذي تشهد عليه التوراة وتؤصله ، والذي
وجدت فيه الصهيونية المعاصرة مادتها ومرجعها الروحي والقومي .

إن أمة تحيى بمثل هذه المبادئ والأخلاق الوحشية حريّة بأن تتلقى
عقوبتها على أيدي أمم الأرض ، حتى تستفيق من سكرة طغيانها .

٧ . الحاضر والغائب في التوراة :

في الوقت الذي تطيل التوراة الحديث حول الشجرة ، وبهذه اللغة التي

(١) سفر التثنية . الفصل ٢ وفصل ٢٠ ، وسفر يوشع .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٣٤
تثير العديد من التساؤلات ، وتطيل أكثر وأكثر في ذكر تفاصيل أخبار بني
اسرائيل ، فهي لا تذكر شيئاً عن قصة ابراهيم مع النمرود في بابل ، ولم تشر ولو
اشارة الى حادثة النار التي أضرمها له النمرود ، بل ابتدأت اخبار ابراهيم من
أرض حران وهي مهاجرة من بابل. مع أن كتباً يهودية أخرى تذكر هذه الحادثة
على نحو ما ذكرها القرآن.

ومن المناسب ذكره أن لهذه الحادثة آثاراً تاريخية قديمة تدل عليها ،
ففي نواحي بابل توجد مدينة « بورسيا » ، وتسمى « الله ورس » وهي قديمة
جداً ، إذ يعرف من كتابة بختنصر [القرن السادس قبل الميلاد] والتي كشفت
سنة ١٨٤٥م في أحرية « بورسيا » أن باني هذه المدينة هو أول الملوك ، وبينه
وبين بختنصر اثنين وأربعين زمناً ، أي ملكاً ، والى الآن في بورسيا آثار قديمة
جداً تعرف باسم إبراهيم الخليل عليه السلام ، وقبة في الموضع الذي يذكر أن نمرود
طرح فيه ابراهيم في النار ، على تل كبير أسود رمادي.

وفي الوقت الذي تغرق فيه التوراة في إيراد المواعظ والترهيب
والترغيب والبشرى والتخويف ، فهي لم تذكر يوم المعاد ، وحشر العباد للجزاء ،
ولا ذكرت ثواب الآخرة وعقابها ، فهل يخلو وحي إلهي من ذكر يوم القيامة
ومشاهدته الكبرى ؟ إنه أمر غريب ، يثير التساؤل الجاد حول مدى احتفاظ هذه
التوراة بأصول الرسالة الموسوية ، ناهيك عن سائر نصوصها.

المبحث الثالث : التوراة والتحرير

قد يكون من اليسير جداً إثبات وقوع التحريف الكثير والكثير جداً في
التوراة ، والذي أحدث معاني خطيرة وخطيرة جداً ، عن طريق الاحتكام إلى

الفصل الأول : معالم أساسية في التوراة ٣٥
العقل وحده الذي لا يرتضي نسبة مثلها الى شريعة سماوية ، والى وحي إلهي
توحيدى ، ولعل في كل واحد من النصوص التي تم عرضها آنفاً دليلاً على
وقوع التحريف ، والوضع الكثير في التوراة ، وشاهدأ عليه .

علمأ أن هذه النصوص المنقولة آنفاً هي من النصوص الثابتة في أهم
الأصول العبرانية للتوراة ، ابتداءً بالأصل العبراني الخطي الجرد عن الحواشي
والمقدس عند اليهود بمراقبة أحبارهم ، ثم الأصل العبراني الخطي المزين
بالحواشي والمتداول عند اليهود وأحبارهم ، والتراجم الكثيرة باللغات
المتعددة المطبوعة والمنتشرة بين سائر يهود العالم وغيرهم .

فهي اذن نصوص من أصول التوراة التي يتفق عليها اليهود ، فما يأتي
عليها يأتي على التوراة نفسها .

والعقل الموضوعي قد رفض قبول تلك النصوص كلها :

فإذا كانت التوراة وهي الإله الواحد ، فأى إله يرتضي الحديث عن
شركاء له في الالهية ، وهو يدعي الوحدانية ؟!

وكيف يتكلم الإله عن خوفه من مخلوقه الآدمي ، وابتكاره فنون الخيل
ليحول دون بلوغ آدم إلى أسرار القوة خشية أن يصبح إلهأ مثله ؟!

أى إله ينزل إلى الأرض ليصارع أنبياءه ، أو ليزرع الفتن في الأمم التي
أخذت طريقها إلى النهوض والرقى ، خوفاً من قوتها ، ثم يتحدث عن ذلك في وحيه ؟!

ثم أى انبياء يختار الله لتبليغ رسالته التي تهدف الى اصلاح الأمم
وهدايتها الى سبل الفوز بمجد الدنيا ونعيم الآخرة ؟ أى أنبياء هؤلاء الذين
يقعون في أحطّ الرذائل وأخس الفواحش !! ثم يتحدث عنهم الاله في وحيه

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٣٦

كأنبياء له وأمناء على وحيه ورسالته؟ فهل عجز عن اختيار أنبياء صالحين؟

محال أن يكون هذا أو شيء منه من صنع إله حق ومن حديث الله ربّ

العالمين ومن تبليغ الأنبياء ورسالاتهم.

إنه من اليسير جداً الاكتفاء بهذا لتعليل قناعة كافية، قائمة على منطق

علمي، بكثرة الوضع والتحريف في التوراة.

غير أنه نمة طرق أخرى لاثبات ذلك، دون التوقف عند الاحكام العقلية

وحدها، التي قد يجادل بها معتنقو تلك المقولات لركوئهم الموروث والمتلقى إليها.

من هنا فإن البحث العلمي يستدعي الوقوف عند أدلة أخرى، موضوعية،

لا تدخل دائرة النزاع العقلي البحت، بقدر ما تكشف عن وقائع ثابتة، وتجلي

أرقاماً حقيقية، لا مفرّ من دلالاتها وشهاداتها..

وليس هنا أهم من بحث الواقع التاريخي للتوراة مع ما يتضمنه من أرقام

وشهادات، نقدمه في فقرتين:

الفقرة الأولى: الامكان التاريخي للتحريف

الواقع التاريخي لبني إسرائيل - كما ترسمه كتب العهد القديم - يكشف

عن حقائق خطيرة تمسّ التوراة، وتجعل وقوع التحريف والوضع فيها ليس

أمرّاً ممكناً وحسب، بل هو الأمر الراجح، بل المؤكد.. وهذه صورة مختصرة

عن مفاصل تاريخية مهمة ذات صلة وثيقة بقصة التوراة.

إن بني إسرائيل خرجوا من مصر إلى بركة سيناء وآيات الله ودلائل رسالة

موسى تتوالى عليه ليلاً ونهاراً، وقد تكرر عليهم الأمر بالتوحيد والنهي عن

الشرك وعبادة الأوثان، ومع ذلك صنعوا العجل الذهبي وقالوا: «هذه آلهتك

ياإسرائيل التي أصعدتك من مصر « ! وسجدوا للعجل !

ولما أقاموا مع موسى في « شظيم » وزنوا بينات « مواب » دعوتهم هؤلاء النسوة إلى ذبائح آلهتهن ، فسجدوا لآلهتهنّ وتعلقوا بـ « بعل فغور » !
ولم تمض مدة طويلة عن موت يوشع حتى تركوا الله وساروا وراء آلهة أخرى ، وعبدوا « البعل » و « عشتاروت » .

وبعد موت « جدعون » رجعوا إلى شركهم وراء « البعليم » وجعلوا لهم « بعل بريث » إلهاً !
وبعد موت « يائير » عبدوا « البعليم » و « العشتاروت » وآلهة آرام ، وإله صيدون ، وآلهة مواب ، وآلهة عمون ، وآلهة الفلسطينيين !
وقالت مزامير داود عنهم إنهم اختلطوا بالمشركين ، وعبدوا أصنامهم ،
وذبحوا بنبيهم وبناتهم للأوثان !

ولما مات سليمان لم يتبع ابنه « رجعام » سوى سبطا يهوذا وبنيامين ، أما أبناء الأسباط العشرة الأخرى فملكوا عليهم « يربعام » فعمل عجلاً ذهب تعبد رعيته ، وقال : هذه آلهتك يا إسرائيل ! واستمر هؤلاء على عبادة عجول الذهب . حتى إذا ملك « أخاب » شاعت عبادة « البعل » واستمروا على هذا حتى تملك عليهم « هوشع » وفي أيامه سباهم ملك آشور ، وأسكن في ديارهم غيرهم .

وأما سبطا يهوذا وبنيامين فإنه لما تشتت مملكة « رجعام » ابن سليمان ، ترك التوراة هو وكل بني إسرائيل معه ، وعمل يهوذا الشرّ أكثر من جميع ما عمل آباؤهم ، وبنوا لأنفسهم آثار الشرك على كل تل مرتفع ، وتحت كل شجرة خضراء ، حتى صار منهم مأبونون يندرون أنفسهم للأوثان لكي يلاط بهم !!

وفي السنة الخامسة لملك « رجعام » نهب « شوشق » ملك مصر خزائن

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٣٨
بيت الله وحزائن بيت الملك وأخذ كل شيء.. ثم ملك « أيا بن رجبعام » وسار
في جميع خطايا أبيه ، ولما ملك ابنه « آسا » أزال آثار الشرك ، ولكن مرتفعات الأصنام لم
تزل.

ولإسرائيل أيام كثيرة بلا إله حق ، وبلا كاهن معلّم ، وبلا توراة.

ثم ملك « يهوشافاط بن آسا » وعمل المستقيم ، ولكن مرتفعات الأصنام
لم تزل. ثم ملك بعده « يهورام » ابنه ، وبعد ابنه « اخزيا » وعملا شر الشرك ،
وبعد « أخزيا » ملكت أمه المشركة « عثليا بنت عمرس » وهدم بنوها بيت الله
وجعلوا كل أقداس بيت الله للبعليم ، إلى أن قتلوا عثليا ونهض « يواش الملك »
و « يهوئاداع » الكاهن ، فجددا بناء بيت الله وأقاموا على رسمه ومقداره ، ولما
مات « يهوئاداع » الكاهن جاء رؤساء يهوذا وسجدوا للملك يواش ، فسمع
لهم ، وتركوا بيت الله إلههم ، وعبدوا السواري والأصنام ، ورجموا « زكريا بن
يهوئاداع » لأجل دعوته الى الإيمان ونهيه عن الشرك ، رجموه بأمر الملك ،
وقتلوه في بيت الله !

ثم ملك « اسعيا بن يواش » وأتى بأهله ساعير ، وسجد لها.

ثم ملك « أحاز » وسار بطريق المشركين ، وعمل تماثيل مسبوكة للبعليم
وأغلق أبواب بيت الله..

وعلى هذا سار بنو إسرائيل ، يتقبلون في الشرك ، في بلاد هي عاصمة التوحيد
والشريعة الموسوية والتوراة ، وفي شعب لم يبق للتوحيد والتوراة والشريعة فيه أثر.

فهل سيبقى للتوراة الحقيقة أثر صحيح ، سليم من التحريف ، في مثل هذا
الشعب وعلى امتداد هذه الحقب وحقب أخرى تلتها؟! وهم في أكثر هذه

الفصل الأول : معالم أساسية في التوراة ٣٩

الحقبة كانوا بلا تورا ، يعبدون الأصنام ، فهم إذا عادوا إلى التوراة بعد كل هذا التقلب في الشرك ، وبلا نبي يجدد جذوة التوحيد فيهم ، فإنهم سيعودون إليها بما رسخ في أذهانهم ومخيلاتهم وتشرب في دمائهم من معتقدات توارثوها ، ونشأت عليها أجيالهم ، دون أن تصطدم بدعوة توحيدية خالصة وقوية تزيل آثار تلك الحقبة الطويلة ، وتعيد العقول إلى صفاء التوحيد والوحي الصادق.

حلقيا يعثر على التوراة :

بعد القرون المتوالية ، وفي السنة الثانية عشر من ملك « يوشيا » ابتداءً يطهر أورشليم من معابد الشرك ، السواري المرتفعات والمسبوكات ، وهدم بيوت المأبونين ، وبعد ما طهر بيت الله توجه لترميم البيت ، وعند إخراج الفضة المدخلة إلى بيت الله ، قال « حلقيا » الكاهن لشافان الكاتب : قد وجدت سفر التوراة في بيت الله !

فلما قرأ فيه شافان أمام الملك مزق الملك ثيابه ، وأمر جماعة من خواصه قائلًا : اذهبوا واسألوا الله من أجلي وأجل من بقي من يهوذا وإسرائيل على كلام السفر الذي وجد. ثم جمع كل الشعب إلى بيت الله ووقف على منبره وقطع مع الله عهداً على عبادته وحفظ وصاياه وفرائضه حسب كلام العهد المكتوب في هذا السفر. ^(١)

إذن هي النسخة الوحيدة للتوراة لدى شعب بني إسرائيل.

ولكن عمليات الترميم قد حدثت قبل هذا التاريخ أكثر من مرة ، ومنها المرة التي وضعت فيها الفضة في البيت ، فلماذا لم تكتشف التوراة آنذاك !؟

لقد جاء حلقيا بهذا النبأ في وقت مناسب ، كان فيه بنو إسرائيل في أمسّ

(١) سفر الملوك . الفصل ٢٢ و ٢٣ ، سفر أخبار الأيام الثاني . فصل ٣٤ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٤٠
الحاجة إلى وحدتهم القومية ، وفي زمن ملك كان يبحث عن عبادة إله واحد ،
ويرفض الشرك ويهدم الأصنام ، فوجد في هذا الاكتشاف ما ترتاح إليه نفسه ،
دون أن يفكر في التحقيق في شأن هذا السفر ومصدره الحقيقي وتاريخه !
ومن هنا ابتداء عهد هذه التوراة بين بني إسرائيل .

أخطاء في توراة حلقيا :

تلقى بنو إسرائيل هذه التوراة تلقاهم للمقدس ، فلما اكتشفوا فيها أخطاء لغوية كثيرة لم يجرؤوا على أكثر من وضع التصحيح في حواشيها ، ومن هذه الأخطاء التي تم تصحيحها في الحواشي :

- ١ . أخطاء بنقصان في الحروف ، في أحد عشر موضعاً .
 - ٢ . أخطاء بزيادة في الحروف ، في أربعة مواضع .
 - ٣ - أخطاء في أبدال حروف بحروف أخرى ، وتقديم حروف على أخرى ، أي أخطاء املائية ، في نحو ثمانين موضعاً .
 - ٤ . أخطاء كثيرة في التذكير والتأنيث ، والجمع والإفراد .
- ثم جاءت التراجم فاعتمدت التصحيحات المكتوبة في الحواشي ، لكون تلك الأخطاء ظاهرة لا يمكن التغاضي عنها .
ومثل هذه الأخطاء لا تجتمع في كتاب وحي يكتب باشراف النبي موسى ، ثم يتناوله الأنبياء من بعده واحداً بعد الآخر ، دون الوقوف على شيء منها .

شواهد أخرى على التحريف :

١ - إن إرميا النبي ترك لبني إسرائيل كتاباً يؤمن اليهود والنصارى بأنه

الفصل الأول : معالم أساسية في التوراة ٤١
وحي إلهي ، وهو يشهد بصراحة على اليهود بتحريفهم للتوراة ، فيقول : « ووحى الله لا
تذكروا بعد ، لأن وحي الله للرجل كلامه ، وقد حرفتم كلام الاله الحي رب الجنود ، إلها »^(١) .
ويقول أيضاً نافياً مزاعم اليهود بأنهم يحتفظون بالتوراة ، ومصراً بنسبتها
الى الكتبة الكذابين ، ما نصه : « كيف تقولون حكماء نحن ، وتوراة الله معنا ! لكن
هُوَ ذا للكذب عملها فلم كذب الكتبة »^(٢) .

وليس كلام أكثر صراحة من هذا على أن نصوصاً غير قليلة في هذه
التوراة متحللة ، وضعها كتبة كذابون.. وفي هذا الكلام شهادة دينية تاريخية.
فهو كلام النبي ﷺ ، الذي يشهد في عصره على ما وقع في العصور السالفة
وعلى التوراة التي يراها عند أبناء قومه .

٢ — نموذج من المتحلل : ومن أبرز نماذج الوضع في التوراة الفصل
الخاص بقصة وفاة موسى ﷺ ومدفنه ومناحة بني إسرائيل عليه ثلاثين
يوماً !^(٣) فإذا كانت التوراة وحي الله الى موسى ، فمن كتب هذا الفصل الذي
يتحدث عن وفاة موسى ودفنه وما جرى بعده على بني اسرائيل ؟ هل أملاه
موسى عليهم بعد موته ؟ انه شيء من أخبار بني إسرائيل وتاريخهم ، فينبغي أن
يوضع في أسفار العهد القديم ، لا في أهل التوراة التي هي وحي الله إلى موسى ﷺ .

(١) سفر ارميا . الفصل ٢٣ . العدد ٣٦ .

(٢) سفر ارميا . الفصل ٨ . العدد ٨ .

(٣) سفر التثنية . الفصل ٣٤ .

الفقرة الثانية : تاريخ التوراة^(١)

من هو مؤلف العهد القديم ؟

أحياناً يكتفي مؤلف مقدمة الكتاب المقدس بأن يجيب بأن مؤلف كل هذه الكتب هو الرب ، لكي يسد الطريق على أي تساؤل ! وأحياناً أخرى يضيف إلى هذه الإجابة تصحيحاً يقول فيه : إن هناك تفاصيل قد أضافها بشر إلى النص الأول ، وإن الطابع المشكوك فيه لفقرة ما في هذا النص لا تحرف الحقيقة العامة التي تنبع منه ! ولكن إذا حدث ورجع القارئ إلى المؤلفات التي كتبها بعض رجال الدين للخاصة وليس لعامة الجمهور ، فيكتشف أن مسألة أسفار الكتاب المقدس مسألة أكثر تعقيداً مما كان يظن ببدء.

وهناك دراسات فيها معطيات دقيقة ، كدراسة ادmond جاكوب « العهد القديم » التي تعطي رؤية شاملة عن الموضوع. يثبت جاكوب إلى أنه في البدء لم يكن هناك نصّ واحد فقط ، بل كان هناك تعدد في النصوص ، ففي القرن الثالث قبل الميلاد تقريباً كان هناك على الأقل ثلاث مدونات للنص العبري للتوراة :

. النص المحقق الماسوري.

. النص الذي استخدم جزئياً في الترجمة إلى اليونانية.

. النص المعروف بالسامري ، أو أسفار موسى الخمسة.

ثم بعد ذلك في القرن الأول قبل الميلاد صار الاتجاه إلى تدوين نصّ واحد ، ولكن تدوين نص الكتاب المقدس لم يتم إلا في القرن الأول بعد الميلاد^(٢).

(١) هذا المبحث أخذناه باختصار عن : القرآن والتوراة والإنجيل والعلم — دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة / موريس بوكاي.

(٢) موريس بوكاي / المصدر المذكور : ٢٠ . ٢١ .

الأصول الأولى للتوراة :

يثبت خبراء التاريخ المتخصصون بدراسة العهد القديم أنه في حدود القرن العاشر قبل الميلاد تم تحرير النص المعروف بالرواية « اليهودية » التي شكلت في ما بعد بنية الأسفار الخمسة التي عرفت باسم أسفار موسى الخمسة.

وسمي هذا النص بالرواية اليهودية لأن اسم الله فيه هو « يهوه ».

ثم اضيفت الى هذا النص بعد ذلك الرواية الأخرى للتوراة المعروفة بالهيمية (لأن اسم الله فيها هو « الهيم »).

ثم جاءت الرواية الثالثة المعروفة بالكهنوتية ، والتي كتبها الكتبة الذين كتبوا كتاب حزقيال بعد موته ، وهي رواية خاصة بسفر التكوين ، أول اسفار التوراة الخمسة.

ويضيف بحاثه آخرون نصاً ثالثاً لسفر التثنية أيضاً ، وهذا اذن يمتد تحرير نص أسفار موسى الخمسة على ثلاثة قرون بأقل تقدير. (١)

ثم بعد ذلك تأليف التوراة من التوفيق بين النصوص الثلاثة ، لكن التوفيق الذي حمل الكثير من الاضطراب ، وركز أصل الشبهة في نسبة هذا النص إلى موسى عليه السلام .

وقد نظم موريس بوكاي جدولاً مفصلاً لهذا التلفيق في الاصحاحات الأحد عشر الأولى من سفر التكوين ، أول أسفار التوراة ، نذكر منه أمثلة قليلة فقط ، فهو يقول :

« على سبيل المثال ، في ما يخص الخلق والطوفان والفترة التي تمتد من الطوفان وحتى ابراهيم ، وهي الفصول التي تحتل الأحد عشر فصلاً الأولى من سفر التكوين ، نرى في رواية التوراة جزءاً من النص اليهودي ، يتبعه جزء من النص الكهنوتي ، وليس النص الإلهيمي حاضراً هنا ، ويظهر بجلاء تام هنا

(١) موريس بوكاي / مصدر سابق : ٢٦ . ٢٧ ، ٣٢ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٤٤
تداخل وتعقد الاسهامات اليهودية والكهنوتية. أما في ما يتعلق بالخلق وحتى
نوح (أي الفصول الأولى) فانتظامها بسيط : فقرة يهوية ، تعقب فقرة كهنوتية ،
وهكذا من البداية حتى نهاية الرواية.

اما ما يتعلق بالطوفان ، وخاصة الفصلين السابع والثامن فإن تقسيم النص
حسب مصادره يعزل فقرات قصيرة جداً قد تصل الى جملة واحدة ، في أكثر
قليلاً من مئة سطر من النص الفرنسي ننتقل سبع عشرة مرة من مصدر لآخر. ومن هنا
كانت تلك المتناقضات والأمور غير المعقولة التي تدرك عند قراءة هذا النص اليوم»^(١).

نتيجة البحث باختصار :

يقول بوكاي : ظلت اليهودية والمسيحية لقرون طويلة تعتبر أن موسى
نفسه هو كاتب التوراة ، أما اليوم فقد هجر هذا الفرض تماماً ، والكل يتفق على
تلك النقطة ، ويتسلح بأدلة قاطعة ، ففي القرن السادس عشر أشار كارلتشاد الى
استحالة أن يكون موسى قد كتب بنفسه كيف مات !^(٢)

ويذكر بعد ذلك نقاداً آخرين يرفضون أبوة موسى على الأقل لجزء من
الأسفار الخمسة ، ويذكر على وجه الخصوص دراسة ريشارسيمون « التاريخ
النقدي للعهد القديم » وفيها يؤكد سيمون على الصعوبات الخاصة بتسلسل
الأحداث ، والتكرارات ، وفوضى الروايات ، وفوارق الأسلوب في أسفار موسى الخمسة.^(٣)

(١) موريس بوكاي / مصدر سابق : ٣٤ . ٣٦ .

(٢) سفر التثنية . الاصحاح ٣٤ . الآيات ٥ . ١٢ .

(٣) موريس بوكاي / مصدر سابق : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ .

الفصل الثاني معالم في الانجيل

الانجيل المعروف أيضا بـ « العهد الجديد » ليس بكتاب واحد ، بل تألف العهد الجديد من أربعة أناجيل معروفة ، معتمدة عند الامة النصرانية ، وهي : إنجيل متى ، إنجيل مرقص ، إنجيل لوقا ، وإنجيل يوحنا. فإذا أطلق لفظ الانجيل فالمراد به هذه الاناجيل الاربعة ، على الرغم من وجود كتابات (أناجيل) أخرى تكشف عن الكثير من حقيقة الديانة المسيحية ، لكن اتباع العهد الجديد لم يدعوا لها.

وهذا الفصل يسلط الضوء على معالم اساسية في الاناجيل الاربعة ، وما وراءها مما هو ضروري لاكتمال الصورة ، وباختصار مناسب.

١ . تاريخ الاناجيل

لم يكن كتاب الاناجيل الاربعة شهود عيان على حياة المسيح ، كما يعتقد المسيحيون ، ولم تظهر هذه الاناجيل في عهد المسيح ، ولاقريباً منه بسنين قليلة ، بل تراوح ظهورها بين ٧٠ إلى ١٠٠ سنة بعد السيد المسيح ، وكان أولها ظهورا انجيل مرقص ، ثم تلاه متى ، ثم لوقا ، ثم يوحنا^(١).

(١) موريس بوكاي / مصدر سابق : ٧٨ ، نظرة عن قرب في المسيحية / بربارا براون : ٦٦ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٤٦
وانجيل مرقس الذي هو أقدم هذه الاناجيل هو أيضاً أقصرها ، ولكنه
ليس كتاب أحد الحواريين ، بل هو على الأكثر كتاب حرره تلميذ لأحد
الحواريين ^(١). يؤكد هذا أنه على الرغم من الاعتراف به كإنجيل كنسي ، إلا أن
محققى المسيحية المحدثين يعدون خاتمه (الاصحاح ١٦ ، الآيات ٩ — ٢٠)
كمؤلف مضاف ، وتشير الترجمة المسكونية إلى هذا بشكل صريح ^(٢).

أما إنجيل متى فيحتل المكانة الأولى من بين الاناجيل الاربعة في نظام
ترتيب أسفار العهد الجديد ، إذ جاء هذا الانجيل وكأنه امتداد للعهد القديم
بشكل ما ، يقول المعلقون على الترجمة المسكونية : إن هذا الانجيل كتاب
يثبت أن المسيح يكمل تاريخ بني إسرائيل ، ولكي يحقق متى هذا الغرض فإنه
يستشهد دائماً بفقرات من العهد القديم تشير إلى أن المسيح يتصرف كالمسيح
الذي ينتظره اليهود ^(٣).

من هو متى ؟

يقول بوكاي : لنقل صراحة أنه لم يعد مقبولاً اليوم القول إنه أحد حواريين
المسيح بالرغم من أنه يعترف بأنه « كان عشاراً أو جايياً بكفر ناحوم عندما
دعاه المسيح ليجعل منه أحد تلامذته ». وذلك ما كان يعتقد آباء الكنيسة.
ولكن لم يعد أحد يعتقد هذا في عصرنا. هناك نقطة لاجدال فيها وهي أن هذا
الكتاب يهودي ، فمفردات كتابه فلسطينية ، اما التحرير فيوناني. ويقول

(١) موريس بوكاي / المصدر نفسه : ٨٦.

(٢) موريس بوكاي : ٨٩.

(٣) موريس بوكاي : ٨٢.

الفصل الثاني : معالم في الانجيل ٤٧
١. كولمان إن الكاتب ، أي مٿى ، يخاطب « أناسا ، وإن كانوا يتحدثون اليونانية ، فإنهم يعرفون العادات اليهودية واللغة الآرامية »^(١).

أما بالنسبة للمعلقين على الترجمة المسكونية فإن أصل هذا الانجيل يبدو كما يلي : « يقدر غالبا أن انجيل مٿى قد كتب بسوريا ، وربما بأنطاكيا أو بفينيقيا ، ففي هذه المناطق كان يعيش عدد كبير من اليهود وقد يمكن أن نستشف معركة فكرية ضد اليهودية المعبدية الاورثوذكسية الغريزية التي ظهرت بالمجمع الكنسي اليهودي بجامينا في نحو عام ٨٠ م ، في ظل هذه الظروف يكثر عدد الكتاب الذين يؤرخون للأنجيل الأوّل ما بين عامي ٨٠ ، و ٩٠ م ، أو ربما قبل ذلك بقليل ، ولايمكن الوصول إلى يقين كامل في هذا الموضوع.

ولما كان اسم المؤلف غير معروف بالتحديد ، فالأنسب هو الاكتفاء ببعض الخطوط المرسومة في انجيل مٿى نفسه ومنها : أن الكاتب معروف بمهنته ، وأنه متبحر في الكتب المقدسة والتراث اليهودي ، وأنه يعرف ويحترم رؤساء شعبه اليهود ، وإن أغلظ في خطابه لهم ، كما أنه استاذ في فن التدريس ، وفي إفهام قول المسيح لمستمعيه مع تأكيد الدائم على النتائج العملية لتعاليمه. وأنه يتفق جيداً مع ملامح يهودي متأدب اعتنق المسيحية ، وهو معلم حاذق « يخرج من كنزه جديداً وقديماً » ، كما يشير إلى هذا إنجيله نفسه (الإصحاح ١٣ ، الآية ٥٢). تلك صورة بعيدة كل البعد عن صورة الموظف البيروقراطي بكفر ناحوم الذي يطلق عليه مرقص ولوقا اسم ليفي ، والذي اصبح واحداً من

(١) موريس بوكاي : ٨٣.

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٤٨
حواريي المسيح الاثني عشر ... (١).

ويتفق الجميع على الاعتقاد بأن متىّ قد كتب انجيله اعتماداً على مصادر مشتركة بينه وبين مرقص ولوقا. ولكن روايته تختلف ، في نقاط جوهرية كما سنرى فيما يلي : ومع ذلك فقد استخدم متىّ بشكل واسع إنجيل مرقص الذي لم يكن أحد حواربي المسيح (٢).

من هو لوقا صاحب الانجيل الثالث ؟

لقد أراد بعضهم التعرف على هويته في شخصية الطبيب الذي يحمل اسم لوقا ، والذي يذكره بولص في بعض رسائله. لقد كان هناك لوقا ما قد رافق بولص في رحلاته. فهل هو نفس الشخص ؟ إن ا. كولمان يعتقد ذلك.

ويمكن تقدير تاريخ انجيل لوقا بالنظر إلى عوامل عدة. فقد استعان لوقا بانجيل مرقص ومتىّ. وكما تقول الترجمة المسكونية فيبدو أنه قد عايش حصار القدس وتدميرها تحت جيوش تيتوس عام ٧٠ م. وعلى ذلك يكون الانجيل لاحقاً على ذلك التاريخ. ويحدد النقاد الحاليون غالباً تاريخ تحريره بما بين ٨٠ . ٩٠ م. ولكن هناك معلقين آخرين ينسبونه إلى تاريخ أكثر قدماً (٣).

وأخيراً يختلف « انجيل يوحنا » جداً عن الانجيل الثلاثة الأخرى ، إلى درجة أن الاب روجي في كتابه « مقدمة إلى الانجيل » ، وبعد أن علّق على الانجيل الاخرى ، يعطي صورة معبرة عن هذا الانجيل الرابع : «إنه عالم

(١) موريس بوكاي : ٨٤ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) موريس بوكاي : ٩١ .

الفصل الثاني : معالم في الانجيل ٤٩

آخر». والواقع أنه كتاب مختلف تماماً : فهو يختلف في ترتيب وفي اختيار الموضوعات والروايات والخطب ، وبه اختلافات أسلوبية وجغرافية ، وأخرى خاصة بالتعاقب الزمني للأحداث ، بل إنه يحتوي على اختلاف في الآفاق اللاهوتية^(١).

وهذا الانجيل هو آخر الأناجيل الأربعة تدويناً ، وقد كتب بعد سنة ١٠٠ م ، فصاحبه يوحنا إذن ليس هو يوحنا الحواري الذي تتحدث عنه الأناجيل^(٢).

ماذا قبل الانجيل الأول ؟

من أين استمد مرقص مادة كتابه ، إذا كان يُشكّ في كونه من حواربي المسيح ؟

إن الحقيقة التاريخية التي تتحدث عن هذا السر ستؤكد مرة أخرى أن مرقص لم يكن حوارياً للمسيح. فثمة حقيقة معترف بها تكشف عن أن المؤسس الأوّل لمادة الانجيل التي أخذها مرقص ، ثم متى ولوقا ، اللذين جاء كتاباهما مشاهين كثيراً للانجيل الأوّل ، حتى عرفت بالانجيل المتشابهة ، إن المؤسس الأوّل لهذه المادة هو رجل آخر ، ورجل تدور حوله أسئلة شتى.

لقد ولد شاؤول في طرطوس غير متأخر كثيراً عن ولادة عيسى نفسه. وقد أصبح شاؤول عضواً في طائفته يهودية تسمى الفريسيين (تتميز بتمسكها الأعمى بالمظاهر والطقوس).

إن « نسور الشريعة » هؤلاء اصبحوا مدفوعين بالتعصب في ملاحقة « النصارى » ، وبعد إعدام اصطيفان ابتداء شاؤول يأخذ دوراً فعالاً جداً في هذا المضمار. لقد كان أدائه لهذا الدور من القوة بحيث تم تعيينه لوظيفة رئيس

(١) موريس بوكاي : ٣٩ و ٩٥ .

(٢) موريس بوكاي : ١٢٤ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٥٠
الوكلاء في القدس ، وقد زود بالوثائق الضرورية ليتوسع في « التطهير » إلى
المدن المجاورة.

وبعد ما يقارب الخمس سنوات من صعود عيسى إلى السماء كان هذا
الشباب المتحمس ذوالخمسة والعشرون عاماً في طريقه إلى دمشق ليختطف
مجموعة من النصارى ويعود بهم إلى القدس. وفي هذا الاثناء حصلت له رؤيا
أدعى أنّ عيسى ظهر وسأل شاؤول لماذا هو مصرّ على اضطهاده ؟
لقد غير شاؤول اسمه إلى بولص ، وساح في الصحاري العربية حتى
يتمكن من التفكير حول كيفية المسلك الذي سيسلكه ليُنقذ مااعتقد بأنه أمر
من عيسى ليخرج إلى الناس ويبيّشّر.

وبالضبط ماذا كان عليه أن يعمل شكّل مسألة عويصة له ، لأنّ اليهود
رفضوا عيسى ورسالته. ولهذا فإن بولص اعتقد بأنه لايملك فرصة أكثر من
المسيح لكسب اليهود. ولذا صمّم على ترك اليهود واستهداف الأميين (غير
اليهود) بدلاً عنهم. وحتى يستطيع أن يفعل ذلك فإن تحليلاً فكرياً خلاقاً من
جانبه كان ضرورياً بالتأكيد^(١).

إن الرومان والاغريق الذين كانوا يألّفون السكان غير اليهود في العالم
الذي عاش فيه بولص كانوا وثنيين يعبدون وفرة وافرة من الآلهة والآلهات ،
وإن معابد وثمانيل آلهتهم هذه كانت منتشرة في كل مكان. وكان القانون
الروماني يحتم على الناس ، باستثناء اليهود ، أن يقدموا الولاء للآلهة.
وكان بولص يعرف أن أناساً لهم هكذا عقائد وثنية عميقة سوف لن يقبلوا

(١) بربارا بروان / نظرة عن قرب في المسيحية : ١٩ . ٢٠ .

الفصل الثاني : معالم في الإنجيل ٥١
فكرة تقول إن الرحمة والخصال يمكن أن تأتي على يدي فرد من البشر يعتبر فقط شخصاً مستقيماً وإنساناً صالحاً. فإذا أراد بولص نتائج سريعة لمهمته فإنه كان يعرف أنه يجب عليه أن « يُلطّف أو يعدّل » الأمور قليلاً آخذاً بنظر الاعتبار ثقافة السكان غير اليهود^(١).

لقد كان نجاح بولص ساحقاً في جهوده التبشيرية اللاحقة خصوصاً مع التنازلات التي أعطاها لغير اليهود. وبالرغم من أن الديانة المسيحية تأخذ اسمها من عيسى المسيح ، فإن بولص الطرطوسي يجب أن يعتبر هو مؤسسها الحقيقي لأنه الشخص الذي اختمرت في ذهنه كل عقائدها وأقام كنائسها في كل العالم المعروف في زمانه. والمسيحيون لا ينكرون ذلك أيضاً : « ليس هناك شخص في التاريخ المسيحي يمكن أن يُضاهي أو أنّ له ذلك التأثير الهائل مثل ذلك الذي لشاؤول الطرطوسي » ففي كتابه « المئة : تقييم الأشخاص الأكثر أهمية في التاريخ » فإن المؤلف مايكل هارت يوافق على ذلك بقوله :
« ليس هناك شخص لعب دوراً من الضخامة كالذي لعبه بولص في إشاعة المسيحية »^(٢).

ولكن هناك مشكلة كبيرة في هذه الصورة على أية حال ، وهي أنّ تعاليم بولص ، والمؤسس الحقيقي للمسيحية ، لا يمكن العثور عليها في أي مكان من تعاليم عيسى أو في تعاليم الأنبياء الذين سبقوه. ليس هذا فقط ولكن بولص لم يكن له إلا اتصال قليل مع الحواريين الحقيقيين لعيسى ، والذين كان من

(١) نظرة عن قرب في المسيحية : ٢٠ - ٢١.

(٢) المصدر : ٢١ - ٢٢.

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٥٢
الممكن أن يوجهوه إلى الطريق الصحيح. فهؤلاء لم يكونوا على وفاق مع
تعاليم بولص المبتكرة وأخبروه بذلك كلما كان ذلك ممكناً.

وفي النهاية على أي حال ، فإنّ نوع المسيحية التي نادى بها بولص إنّما
أحرز فيها النجاح بفضل شخصيته الساحرة ، إضافة إلى حقيقة أنه وأصحابه
غلبوا الحواريين الحقيقيين لعيسى في أمور مهمة كالوجهة الاجتماعية
والثروة والتعليم ، ولذلك حصل على اتباع كثيرين من بين السكان غير اليهود.
فالمسيحية . اليهودية ، أي عقيدة حواربي عيسى ، لم تكن لها أيّة فرصة للنهوض^(١).

ماذا أنجز بولص ؟

بقوله إن عيسى كان إلهاً ، فإنّ بولص استطاع أن يتقرب إلى الجماهير غير
اليهودية في عبارات كانت مألوفة لديها جيداً ، وكان نجاحه لذلك مؤكداً. إن
حماسه وشخصيته الجذابة مضافين إلى استعداده التام ليضع حلاً توفيقياً بين
الرسالة الحقيقية لعيسى وبين العقائد الوثنية ، قد قادته لأن يخلع صفة « البُنوة
الالهية » على عيسى.

وهذه عقيدة مشكوك فيها على أحسن الفروض ، لأن « البُنوة » تصف
شخصاً قد خُلِق ، بينما « الالهية » تصف كائناً أزلياً في طبيعته.

وفي وقت لاحق فإن قادة الكنيسة فكروا بطريقة أنيقة يُنهون بها هذا
اللبس بقولهم إن عيسى كان هو الله - مجسداً على هيئة انسان - وهو كائن أزلي
اختار أن يصبح إنساناً في رحم مريم. أي إن عيسى - بكلمة أخرى - له
طبيعتان : إلهية وبشرية ، وقد تم اتحادهما في شخص واحد. وربما كانت نية

(١) نظرة عن قرب في المسيحية : ٢٢.

الفصل الثاني : معالم في الانجيل ٥٣

رجال الكنيسة حسنة ، ولكن مقولتهم هذه قادت فقط إلى التباس أكثر ^(١) .
وبولص هو الذي وضع عقيدة الخلاص ، وبالمدافع الأول نفسه ، ليحصل
على معتنقين من بين الاميين (غير اليهود). اولئك الذين كانوا مترددين في أن
يلتزموا بالمسيحية بسبب رغبتهم الحادة في تجنب كل القواعد والأنظمة
الموجودة في الشريعة الموسوية ، وهذا المعتقد الأخير — وهو الخلاص
بالايمان ببعسى وحده — كان في الواقع الأكثر جذرية ، ولكنه هو الذي أكد
نجاح مهمة بولص لأنّ هذا الاعتقاد أعطاهم بالضبط ما كانوا يريدون ، ولذا
هرعوا إليه زرافاتٍ ووحداناً ^(٢) .

٢ . اختلافات الاناجيل

تقدمت الاشارة إلى التشابه الحاصل بين الأناجيل الثلاثة الأولى
(مرقص ، ومثّى ، ولوقا) حتى عرفت بالاناجيل المتشابهة ، وقد أحصيت
مواضع التشابه بينها على النحو الآتي :

- . آيات مشتركة بين ثلاثة أناجيل : مرقص ، ومثّى ، ولوقا = ٣٣٠ آية .
- . آيات مشتركة بين إنجيلي مرقص ومثّى = ١٧٨ آية .
- . آيات مشتركة بين إنجيلي مرقص ولوقا = ١٠٠ آية .
- . آيات مشتركة بين إنجيلي مثّى ولوقا = ٢٣٠ آية .

وقد تفرد كل واحد من هذه الأناجيل الثلاثة بعدد من الآيات ليس لها

(١) نظرة عن قرب في المسيحية : ٣٠ .

(٢) نظرة عن قرب في المسيحية : ٥٣ .

ذكر في غيره منها ، وكما يلي :

. متى = ٣٣٠ آية .

. مرقص = ٥٣ آية .

. لوقا = ٥٠٠ آية .

أما إنجيل يوحنا فهو إنجيل آخر مختلف عنها في نصه وصياغته ^(١) .

وفي مواضع الاختلافات الكثيرة بين الأنجيل هناك اختلافات صارخة

تسجل تناقضاً داخلياً بينها ، ومن أمثلة هذه الاختلافات ، التناقضات :

١ - إن انجيل متى ينطوي على شجرة عائلة عيسى (متى ١ : ٧) وهي

تتابع شجرة العائلة إلى إبراهيم ابتداء من سليمان أحد أولاد داود ، بينما

الشجرة الموجودة في إنجيل لوقا (٣ : ٣١) تتابع شجرة عائلة عيسى إلى آدم

من خلال ناثان ، وهو ابن آخر لداود مختلف تماماً عن سليمان. فحتماً دراسة

خاطفة سوف تظهر أسماء موجودة في سلسلة متى لاتوجد في الشجرة التي

يعطيها لوقا والعكس بالعكس.

والسلسلة التي يضعها لوقا بين إبراهيم وآدم عليه السلام تتألف من عشرين

اسماً فقط ، أي أن الفاصلة بين إبراهيم وآدم يؤلفها هؤلاء الأجداد العشرون !

فهل يمكن أن تتصور أن عشرين جيلاً فقط من البشر عاش قبل إبراهيم !؟

ومن النقاط التي يجب ملاحظتها هنا ، هي أنّ إعطاء شجرة عائلة تنطوي

على ذكر اسم لعيسى من خلال يوسف (زوج أمه مريم) ينطوي على نوع من

الغرابية ، وذلك أنّ عيسى لم يكن له أب بشري ، وإنّ سلسلة أكثر انسجاماً تكون

(١) موريس بوكاي : ٩٨ .

عن طريق أمه مريم وليس زوجها يوسف (١).

٢ - إنَّ إنجيل يوحنا في تعارض مع الأناجيل الثلاثة الأخرى في كلِّ وجه تقريباً من حياة عيسى ورسالته ، مثل أين وُلد وترعرع وقصة تعميده ، وحتى الأمكنة التي زارها ومدة رسالته.

ومَّا يُقال في الحقيقة فإنَّ ٩٢% من المادة الموجودة في إنجيل يوحنا هي غير مذكورة في الأناجيل الأخرى.

ومن الاختلافات المثيرة للانتباه بين إنجيل يوحنا وبين الأناجيل الثلاثة الأخرى ، هي أنَّ يوحنا لا يذكر شيئاً مطلقاً عن طريقة العشاء الرباني .

ففي سرد يوحنا للعشاء الأخير الذي يوجد في الفصول ١٣ . ١٧ . يقوم عيسى بغسل أقدام حواريه ، وبعد ذلك يلقي عليهم خطبة طويلة حول مجيء شخص مواسٍ ومُعزِّ COMFORTER من بعده . ولا يوجد حتى مجرد ذكر في هذه الفصول حول تقديس الخبز والخمر التي تعتبر اليوم من أعمدة الديانة المسيحية (٢).

٣ - لا يتكلّم كلٌّ من إنجيل متى ويوحنا عن صعود المسيح إلى السماء . فبينما يتكلّم لوقا عن الصعود في إنجيله ، وفي كتابه الآخر المعنون بـ « أعمال الرُّسل » ، فإنَّ الوقت والمكان لهذا الصعود يختلفان في هذين الكتابين .

أمّا مرقس فهو أيضاً يتكلّم عن الصعود ، ولكن المختصين في الكتاب المقدس يتفقون على أنَّ سجل هذه الفترة بأكمله كما جاء في إنجيل مرقس

(١) بريارا براون : ٦٢ ، موريس بوكاي : ١٠٨ . ١٢٢ .

(٢) بريارا براون : ٦٣ ، موريس بوكاي : ١٢٤ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٥٦
« ليس موثوقاً به ».

ففي مرقس (١٦ ، ١٩) فإنَّ المسيح « قد رفع إلى السماء ، وجلس على
يمين الله » أما لوقا الذي يذكر حدث الصعود ففيه (٢٤ ، ٥١) : « انفصل المسيح
عنهم وحمل إلى السماء » ويحدد ذلك بيوم قيامة المسيح ، التي ظهر بعدها
بحسب بعض الأنجيل كما سيأتي (١).

٤ - ومن أمثلة « التعاليم الغريبة » فإنَّنا إذا نظرنا إلى العقيدة المسيحية في
الغفران ، نجده يرتكز على مبدأ أنَّ عيسى هو كائن كامل من جميع الوجوده.

ويعجب المرء في ضوء ذلك ، كيف يبرِّر المسيحيون الإشارات في
الأنجيل إلى أنَّ عيسى ليس شخصاً يتمتَّع بالكمال تماماً ، فعلى سبيل المثال :

أ - في إنجيل متى ١٦ : ٢٣ فإنَّ عيسى يُسمَّى بطرس « الشيطان »
و « مصيدة خطرة » عندما يحاول بطرس أن يُجامي عنه.

ب - في إنجيل مرقس ١١ ، يلعن عيسى شجرة التين لأنَّها ببساطة لم
تكن تحمل أثماراً في غير موسمها ، وكان جائعاً عندما عثر عليها.

ج - في إنجيل يوحنا ٢ : ١ - ٤ يبدو عيسى قليل الاحترام بوضوح عندما
يتعامل مع والدته.

وفي متى ٢٨ : ١٩ يأمر عيسى حوارتيه أن يذهبوا ويعمِّدوا باسم « الأب
والابن وروح القدس ». وللدبران على أنَّ هذه الكلمات الأربع هي من
إضافات الكنيسة المتأخرة إلى نص كلام عيسى من الممكن إيجادها من قراءة
رسائل بولص أنَّه يقول في هذه الرسائل : إنَّ التعميد في أيَّام الكنيسة الأولى

(١) برنار براون : ٦٣ ، موريس بوكاي : ١٢٩ .

الفصل الثاني : معالم في الانجيل ٥٧
كان يتمّ باسم عيسى وحده.

ومن الجدير بالذكر أن نلاحظ أنه في مرقص ١٦ : ١٥ عيسى يقول :
« اذهبوا أنتم إلى كل العالم واكرزوا ^(١) بالإنجيل على كل مخلوق ».

أمّا مرقص فإنّه يورد نفس الحادث في ١٦ : ١٥ كما يفعل متى في ٢٨ :
١٩ ، فأين بالضبط جاءت هذه الكلمات الزائدة عن تلك التي نجدها في سرد
مرقص ؟ ^(٢)

٥ . من التناقضات الأخرى الإخبار عن ظهور المسيح بعد قيامته :

ففي يومنا هناك امرأة واحدة ، وهي مريم المجدلية ، أتت القبر ، فلم تعرف
أين هو ... وفي إنجيل متى فإن ملاكاً هو الذي يعلن لمجموعة النساء أتين القبر
أنهن سيرين المسيح بالجليل ، لكنه يقابلهن بعد لحظة على مقربة من القبر.

ويشير لوقا إلى ظهور المسيح ثلاث مرات بعد قيامته ، أما يوحنا فيقول إنّه
ظهر مرتين على ثمانية أيام بمجمع بيت المقدس. وهذه كلها تتناقض مع
الاشارات إلى ظهور المسيح في رسالة بولص الاولى (١٥ ، ٥ - ٧) إذ يقول : إنه
قد ظهر لأكثر من خمسمئة شخص في وقت واحد ، ولكل الحوارين.

يقول بوكاي : إن التناقض جلي بين بولص ، وهو الشاهد المعانين الوحيد ،
ولكنه مشكوك فيه ، وبين الاناجيل. ومن رواية لوقا في (أعمال الرسل) عن
ظهور المسيح لبولص فهي تناقض ما يقوله بولص نفسه عن ذلك الظهور ^(٣).

(١) كَرَزَ : أي وعظ ونادى ببشارة.

(٢) بريارا براون : ٦٤.

(٣) موريس بوكاي : ١٢٧ - ١٢٨.

خلاصة القول في هذه الملاحظات :

يخلص المحققون المسيحيون المحدثون إلى أنّ مؤلفي الأناجيل أنفسهم لا يزالون محل تساؤل. ورغم عدم تأكدهم حول من هم المؤلفون الحقيقيون فإنّ المختصين في الكتاب المقدس يتفقون على أنّ متى ومرقس لم يكونا مؤلفي الإنجيلين اللذين يحملان اسميهما.

أمّا إنجيل لوقا فيعتقد أنه كتبه صديق لبولص من الأميين (غير اليهود) لم تتح له حتى فرصة الالتقاء بعيسى ، وإنّ الجزء الأول من كتابه حول المسيحية المبكرة هو الذي يحتوي أيضاً على كتاب « الأعمال ».

وبينما يقول العديد من المسيحيين إنّ إنجيل يوحنا كتب من قبل أحد حواربي عيسى الذي له هذا الاسم ، فإنّ المختصين في الكتاب المقدس يتساءلون الآن وفي ضوء الحقيقة المعروفة من أنّ يوحنا كتب إنجيله حوالي عام ١٠٠ ميلادية ، وأنّ يوحنا الحواري كان قد استشهد في عام ٧٠ بعد الميلاد ، أي قبل أكثر من ٣٠ عاماً من كتابة هذا الإنجيل.

إنّ قبول نظريّة أنّ أشخاصاً غير حواربي عيسى كتبوا الأناجيل الأربعة يحتم قبول الاحتمال بأنّ هؤلاء المؤلفين لم يكونوا شهود عيان ولا سامعين لعديد من الأحداث التي كتبوا عنها.

وحتى إذا رغب المرء أن يتعلّق بفكرة أنّ حواربي عيسى كانت لهم يد في كتابة الأناجيل ، فإنّنا نعرف أنّهم لم يكونوا شهوداً على الأحداث التي جرت بعد أن أخذ عيسى من قبل الجنود من حديقة « الجثمانية » ، لأننا نقرأ : « ثمّ تركه الحواريون وهربوا ... » في كلّ من إنجيل متى ٢٦ : ٥٦ وفي إنجيل

الفصل الثاني : معالم في الانجيل ٥٩
مرقص ١٤ : ٥٠ .

وباختصار فإنّ كثيراً ممّا نجد في الأناجيل مرتكز على القيل والسماع ،
وليست هي كتابات رجال شهدوا تلك الأحداث .

ونقطة أخرى يجب أخذها بعين الاعتبار بخصوص الأناجيل ، هي أنه لم
يكتب ولا واحد منها في حياة عيسى ، لأنه لم يُحتفظ بأي سجل عن فعالياته
خلال حياته . وفي الحقيقة فقد مرّت ٤٠ سنة تقريباً بين الوقت الذي غادر فيه
عيسى الأرض وبين ظهور أوّل إنجيل .

وعندما صدر إنجيل متىّ في النهاية ، فإنّ بولص كان قد مضى على وعظه
ودعوته ما يقارب العشرين عاماً . لقد كتب رسالته إلى الرومان ، وفيها وضع
كل معتقداته في المسيحية . وفي هذا الضوء نستطيع أن نرى أنّ تعاليم بولص
قد أثّرت بلاشك على كاتب الأناجيل إلى درجة كبيرة .

إنّ الأناجيل كتبت بأجمعها ما بين ٧٠ ميلادية و ١٠٠ ميلادية ، وقد جاء
مرقص أولاً ثمّ تلاه متىّ ثمّ لوقا ثمّ يوحنا .

إنّ الأناجيل الثلاثة الأولى تسير على نفس الخطوط عموماً . وفي الحقيقة
فإنّ نظرة سريعة تظهر أنّ مؤلفي إنجيلي متىّ ولوقا استعارا كثيراً جداً من
مرقص عندما كتبا إنجيليهما . وهذا هو السبب الذي جعل هذه الثلاثة تبدو
وكأنها تسرد نفس الحكاية ، وبهذه الصفة أطلق عليها اسم « الأناجيل
المتشابهة » .

أمّا إنجيل يوحنا فإنه مختلف تماماً عن الثلاثة الأخرى ، وهو لا يزال يثير
جدالاً لأنّ مؤلفه كان ببساطة مهتمّاً بقيمة عيسى للديانة المسيحية أكثر من

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٦٠
اهتمامه بما قال عيسى وما فعل.

وهكذا يمكننا أن نستنتج بصورة معقولة أنه بسبب عامل الوقت والكتابة من القيل والسماح وتأثير بولص ، فإن صورة عيسى التي تعكسها لنا الأناجيل ليست هي صورة عيسى كما عرفه التاريخ.

وبدلاً من ذلك فإن هؤلاء المؤلفين كتبوا عن عيسى « اسطوري » مستخدمين وجهة نظر لاهوتية « مَسَّحَتْ » الحقيقة التي جرت في زمان عيسى. إن مؤلفي الأناجيل كانوا ملتزمين بالعقائد المسيحية ، وقد كتبوا وفي أذهانهم وجهة النظر هذه.

والنتيجة أنّ الأناجيل الأربعة تحتوي على أساطير أكثر من احتوائها على حقائق. إنّ رسالة المسيح السماوية كادت أن تُطمس تماماً تحت ركاب ممّا تمّنى الناس وأرادوا من عيسى أن يقول وأن يفعل بدلاً ممّا جرى في الواقع من قبل المسيح^(١).

٣ . إشكاليات عقائدية في الاناجيل الاربعة

الاناجيل الاربعة والتوحيد :

أكد المسيح ﷺ منذ بعثته أنه إنسان ، ابن الانسان ، ليقطع الطريق أمام التألّيه الذي كان يسري في عقائد أتباع الديانات الأرضية ، فمن قوله ﷺ في نفسه : « إن ابن الانسان قد جاء ليستنقذ ذلك الذي ضاع » (متّى ١٨ : ١١).

كما أكد دائماً أنه رسول مرسل من الله تعالى وأنه عبد من عبده :

— « إن من يؤمن لي لا يؤمن بي أنا ، بل يؤمن بالذي أرسلني »

(١) بربارا براون : ٦٧ .

الفصل الثاني : معالم في الانجيل ٦١
(مرقص ٩ : ٣٧).

— « لماذا تسمونني كاملاً ؟ فليس هناك كامل إلا واحد ، وهو الله »
(مرقص ١٠ : ١٨).

— « إن هذه هي الحياة الخالدة ؛ أن يعرفوك أنت الاله الحق وحدك ، ويعرفوا
عيسى المسيح الذي أنت أرسلته » (يوحنا ١٧ : ٢).

— « والآن تريدون أن تقتلوني وأنا إنسان قد أنبأتكم بالحق الذي سمعته
من الله » (يوحنا ٨ : ٤٠).

لكن هذا الكلام الواضح لم يبق هكذا في عقائد الاتباع اللاحقين ، ومنذ
وقت مبكر تغيرت هذه الصورة التي رسمها المسيح بنفسه ، لتلقى في الأذهان
صورة أخرى مغايرة تماماً.

« كل ذلك قد تغير فجأة عندما ظهر على المسرح واعظ [بولص] ادعى
بأنه يتكلم باسم المسيح ، بعد سنوات قليلة فقط من رحيل المسيح »^(١).

فظهرت العقائد الجديدة ، ودخلت الأناجيل الأربعة ، ولم يكن السيد
المسيح قد قال بشيء منها ، وأهم هذه العقائد :

أولاً : « ابن الله المخلص ! » :

تحدث « عقيدة الألوهية » في الأناجيل ببساطة أن عيسى هو ابن الله ،
كلمة الله تحولت إلى جسد !

ورغم أنّ عيسى نفسه ، كما ذكر سابقاً ، لم يدع أبداً أنه « الهى » فإنّ بولص
أعطاه هذه الصفة لسبب واحد : ليحصل على معتنقين من بين غير اليهود.

(١) بريارا براون : ١٧ - ١٨.

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٦٢

فالأميون (غير اليهود) كانوا وثنيين درجوا على عبادة آلهة وراءها أساطير وخرافات عجيبة. فعدد من آلهة الوثنيين في ذلك الوقت (مثراس ، وأدونيس ، واكتيس ، وأوزيريس مثلاً) كانوا جميعاً من سلالة إله مسيطر حاكم ، وكل منهم مات ميتة عنيفة في عمر قصير ورجعوا إلى الحياة بعد مدة قصيرة حتى يخلصوا شعوبهم. هكذا يعتقدون ، وبهذا شحنت أساطيرهم.

لقد أخذ بولص ذلك بنظر الاعتبار معطياً الوثنيين شيئاً مشابهاً في المسيحية : لقد أعطى الألوهية إلى عيسى قائلماً بأنه كان ابن الله (المسيطر) وأنه هو أيضاً مات من أجل خطاياهم.

وبعمله هذا فإن بولص « وقق » بين تعاليم المسيح وبين الاعتقادات الوثنية حتى يجعل المسيحية أكثر قبولاً عند الوثنيين.

إن بولص لم يذكر ، بالطبع ، الأصول الوثنية لهذه العقيدة ، إنما يستطيع الوقوف على هذه الحقيقة فقط الشخص الذي يُجري بحثاً حقيقياً في ذلك الوقت من التاريخ حول الناس وثقافتهم^(١).

إن بولص عبّر عن هذه العقيدة بطرق أخرى ، وعلى وجه الخصوص فإنّه كان يعتقد أن هناك خمسة أسباب تبرّر اعتبار عيسى إلهاً ، وهي :

١ . ان عيسى ولد من عذراء دون « واسطة » أب .

وحول هذه فنانا نستطيع أن نذكر قضية آدم ، وهو الانسان الأول. لقد ولد آدم دون واسطة أم أو أب ، ورغم ذلك فإنّه لا يعتبر إلهاً.

(١) نظرة عن قرب في المسيحية : ٢٣ .

٢ . ان عيسى أظهر معجزات .

وجواباً على ذلك فإننا نستطيع أن نذكر موسى والنبي يشع ، فالاثنتان أظهرتا معجزات مذهلة ، ولكن لا يعتبر أي منهما إلهاً .
وحقيقة أن عيسى أظهر بعض المعجزات ليست في الواقع دليلاً على الالهوية ، كما أشار هو إلى ذلك مراراً عندما حصلت هذه الظواهر ، وقال إن القدرة على إظهار هذه الأعمال الخارقة قد جاءت من الله وليس منه . إن معجزاته جاءت لنفس الغرض الذي جاءت لتؤكد معجزات الأنبياء الذين سبقوه : لتعطي المصدقية لرسالته التي جاء بها إلى اناس معاندين .

٣ . ان عيسى ذو شخصية لانظير لها .

لكن هذه الصفة لاترفعه من حقيقته الانسانية البشرية إلى الالهوية ، ولقد كان الأنبياء السابقون ولاسيما كبار الأنبياء الذين حققوا نجاحاً في زمانهم هم ذوو شخصيات لانظير لها ، كإبراهيم ، وموسى عليه السلام ^(١) .

٤ . ان عيسى قام من بعد الموت .

نعم إن « الانتصار على الموت » عمل كبير ، ولكن ماذا عن النبي إيليا الذي لم يمت أبداً بل رفع إلى السماء في عربة من النور والنار ؟ (سفر الملوك ٢ : ١١) هذا أمر فذّ ومذهل تماماً ، ورغم ذلك فإن إيليا لايعتبر إلهاً ^(٢) .

مع مصطلح «ابن الله» :

إن عبارة « ابن الله » لم تكن شيئاً جديداً يطرق الأسماع لأول مرّة ، فقد استخدمت في العهد القديم لتشير إلى داود (سفر المزامير ٢ : ٧) وابنه سليمان

(١) نظرة عن قرب في المسيحية : ٢٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٥ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٦٤
(سفر التواريخ ٢٢ : ١٠) والاشارة إلى آدم (انجيل لوقا ٣ : ٣٨) في العهد
الجديد. وفي خطبته الشهيرة « موعظة على الجبل » كما جاء تفصيلها في
انجيل متى الجزء الخامس ، فإن عيسى يخبر مُستمعيه : « تبارك الذين يصنعون
السلام لأنهم سيستون أبناء الله ».

وفي كل هذه الأحوال ، فإن تعبير « ابن الله » لم يكن يُقصد به التفسير
الحرفي ، ولكن ليعبر عن الحب والرحمة من الله تجاه المتقين والصالحين. ف « ابن
الله » تعني زُلفى خاصة من الله ، ولا يقصد بها علاقة عضوية مع الله ^(١).

ومع ذلك يُسارع المسيحيون إلى اعتماد التلميحات العديدة التي يصف
فيها عيسى نفسه بأنه « ابن الله » في انجيل يوحنا ، وفق تفسيرهم هذا طبعاً ،
ومن جهة أخرى فإنهم يميلون إلى اهمال التصريحات العديدة الاخرى في
نفس الانجيل عندما يصف عيسى نفسه بأنه « ابن الانسان ».

وهذا يشير بوضوح ، مرة أخرى إلى حقيقة أن عبارة « ابن الله » ما كان
يُقصد بها المعنى الحرفي. إن عيسى كانت له زُلفى خاصة عند الله ... أنه كان
طفلاً لله بنفس المعنى الذي نحن فيه جميعاً أطفال الله.

وفي الآية ١٦ : ١٣ من انجيل متى يسأل عيسى الحواريين من يظنون
انه هو ؟ والمسيحيون يذهبون إلى جواب بطرس الموجود في الآية ١٦ : ١٦ من
انجيل متى التي يجيب بطرس فيها : « إنك أنت المسيح ابن الله الحي ».

ومن المدهش أنه في ذكر نفس الواقعة تقول الآية ٨ : ٢٩ من انجيل

(١) نظرة عن قرب في المسيحية : ٢٥ - ٢٦ ، وقد جاء في الحديث الشريف : كل
الخلق عيال الله وخيرهم عند الله وخيرهم لعياله (المترجم).

مرقص : إن جواب بطرس كان « إنَّك أنت المسيح ».

كلمات قليلة اضيفت في انجيل متى مقارنة بانجيل مرقص ، ولكن ذلك أضاف تغييراً إلى كل معنى الكلمات (١) !

ثانياً : التثليث :

إنَّ عقيدة التثليث تنص ببساطة على أن الالهية تتكوّن من ثلاثة كائنات إلهية : الله « الاب » ، وعيسى « الابن » ، و « روح القدس » .
إلى جانب الايمان بعيسى ، فإنَّ مبدأ التثليث هو واحد من أهم المرتكزات الاساسية للمسيحية التي عليها تستند باقي العقائد المسيحية (٢).

فكرة التوحيد :

إن قاموس العالم الجديد لويستر يُعرف « التوحيد » بأنه « العقيدة أو المذهب القائل بأنَّ هناك إلهاً واحداً فقط » (٣).

إن الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام كُلها تدعي أنها تشارك في هذا المفهوم.

وقد أكد موسى هذا المفهوم في فصل من التوراة يسمّى الـ « شيماء » أو العقيدة اليهودية في الايمان :

« اسمعوا يا بني اسرائيل : الربُّ إلهنا هو إلهٌ واحد » (سفر تثنية الاشرع ٦ : ٤).

وبعد مرور ما يقرب من ١٥٠٠ سنة ، فإنَّه أعيد حرقياً من قبل عيسى

(١) نظرة عن قرب في المسيحية : ٣٠ .

(٢) هذه هي الكنيسة الكاثوليكية : ٤ .

(٣) قاموس العالم الجديد ، لويستر : ٨٧٩ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٦٦
عندما قال : « ... الوصية الاولى من بين كل الوصايا هي : اسمعوا يا بني اسرائيل
إن الرب إلهنا هو إله واحد» (مرقص ١٢ : ٢٩).

وعندما بعث محمد ﷺ بعد ستمائة سنة من رحيل المسيح فإنه جاء
بنفس الرسالة مرة أخرى عندما قال :

﴿ وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ... ﴾ (١).

والمسيحية قد انحرفت عن عقيدة توحيد الله ، على أية حال ، في مذهبها
المبهم والغامض ، وهو مذهب التثليث. كيف يكون الله واحداً عندما يُضاف
عيسى وروح القدس إلى الصورة ؟ (٢)

وبالرغم من أن هذا المبدأ – التثليث – لم يُوضع رسمياً من قبل بولص ، إلا
أنه ليس هناك شك بأن هذا المذهب لم يكن بعيداً عن تفكيره ، فإذا كان قد
صنع من عيسى ابناً إلهياً ، فإنّ من المنطوق أن الحاجة تدعو إلى أبٍ إلهي. كما
دعت الضرورة لوضع الترتيبات لأخذ روح القدس في الحسبان ، والذي كان
بولص يعتقد أنه الوساطة لجلب وحي الله إلى الانسان (٣).

وجوهرياً فإنّ بولص سمى المكونات الاساسية – للتثليث – ولكن
الكنيسة لم تضع المذهب بصورته النهائية إلا في القرن الرابع للميلاد. وكما هي
الحال مع عقائد أخرى اقترحها بولص للمسيحية فإن مبدأ التثليث الالهي هو
أيضاً له جذور في العقائد الوثنية ، فإن عبادة النمرود ، التي بدأت في بابل ،

(١) سورة البقرة : ٢ / ١٦٣ .

(٢) نظرة عن قرب في المسيحية : ٣٢ - ٣٣ .

(٣) نظرة عن قرب في المسيحية : ٣٣ .

الفصل الثاني : معالم في الانجيل ٦٧
كانت باقية حيّة وقائمة في زمن بولص : فالنمرود الذي كان شاباً وسيماً - وقد تزوج من أمه - كان يُنظر إليه كإلهٍ من قبل قومه ، وقد اعتقدوا بأنَّ بَعْل ، إله الشمس ، كان والده. وعندما مات النمرود في عمر ميگّر فإنَّ أمه أصبحت هي رئيسة الطائفة. وهي التي جاءت بفكرة أنّ ابنها استمر في الحياة كروح.

وهكذا فإن « التثليث » كان قد ابتدع : بَعْل (الاب الإلهي) وأم النمرود ، والنمرودُ « الابن الإلهي ».

ومن المحتمل انه من هذه الاساطير كان بولص قد جاء بفكرته التثليثية عن كائنات إلهية تختص بالمسيحية^(١).

كيف استقر « التثليث » ؟

يعتبر ترتوليان ، وهو قسٌّ ومحامٍ في كنيسة قرطاجنة ، هو أول من استخدم كلمة ثالوث أثناء القرن الثالث عندما وضع النظرية القائلة بأن الابن والروح يشاركان في كيان الله ، ولكنهم جميعاً من كائن واحد من نفس تكوين الأب.

وقد استمر الجدل طويلاً حول هذه المسألة بين قادة الكنيسة الكبار : فبعضهم أيد ترتوليان بأن الثالوث يتألف من ثلاثة أشخاص متميزين أو ثلاثة جواهر ، بينما ادعى الآخرون أنّ الثالوث ماهو إلاّ ثالوث رؤيا (أو وحي) وأن عيسى كان رجلاً ملهماً بروح الأب التي كانت حالة فيه.

ووجد الامبراطور قسطنطين نفسه معنيّاً بالنزاع في عام ٣١٨ بعد الميلاد عندما أخذ النزاع حول الثالوث يتفاقم بين رجلين من كنيسة الاسكندرية : أريوس الشماس وإسكندر المطران.

(١) المصدر نفسه : ٣٤.

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٦٨
ورغم أن الامبراطور لم يكن واثقاً من عقيدة الكنيسة ، ولكنه كان متأكداً
من أن كنيسة موحدة كانت ضرورية لمملكة قوية. وعندما فشل المطران الذي
عيّنه قسطنطين في فض النزاع ، فقد دعا الامبراطور إلى عقد أول مجمع
مسكوني في تاريخ الكنيسة ، وقد تم ذلك في عام ٣٢٥ ميلادية في مدينة
نيقية في آسيا الصغرى. وقد حضر الاجتماع ٣٠٠ من المطارنة. وبعد ستة
أسابيع من النقاش تم تشكيل عقيدة التثليث : إن الله الذي يعتقد به المسيحيون
قد صور على أنه يمتلك ثلاثة جواهر - أو طبائع - في هيئة الأب والابن وروح
القدس. فالعقيدة التي خرج بها المجمع نصّت على ما يلي :

« نحن نعبد إلهاً واحداً في الثالوث ، والثالوث في التوحيد ، لأنّ هناك
شخصاً للأب ، وآخر للابن ، وآخر لروح القدس. إنهم ليسوا ثلاثة آلهة ولكن إله
واحد. فكل الاشخاص الثلاثة هم أزليون معاً ومتساوون معاً ، وهكذا فإن
الانسان الناجي هو ذلك الذي يعتقد بالثالوث »^(١).

ولكن المسألة لم تكن قد انتهت رغم الآمال الكبيرة التي علقها
الامبراطور على انعقاد المجمع ، فإن أريوس ومطران الاسكندرية الجديد
واسمه أثناسيوس شرعا في الجدال حول المسألة حتى عندما كانت عقيدة
نيقية في طور التوقيع. وهكذا أصبحت الأريوسية شعاراً منذ ذلك الحين لكل
من لا يُقَرّ بالاعتقاد بنظرية الثالوث^(٢).

وفي عام ٤٥١ للميلاد ، وفي مجمع خلقيدونيا المسكوني ، تم إقرار

(١) مقتطفات من عقيدة أثناسيوس.

(٢) نظرة عن قرب في المسيحية : ٣٦ - ٣٧.

الفصل الثاني : معالم في الانجيل ٦٩
عقيدة نيقية القسطنطينية على أنها موثوقة رسمياً ولا تقبل المناقشة ، والكلام
ضد الثالوث يعتبر كفوفاً ، ومن يقترفه يستحق حكماً يتراوح بين التشويه
والموت !

وهكذا فقد استدار المسيحيون ضد المسيحيين يشوهون ويدجون
الآلاف بسبب الاختلاف في الرأي.

ورغم أن العقوبات القاسية التي مورست في أوقات سابقة قد توقفت
الآن ، فإن الجدل حول عقيدة التثليث استمر حتى وقتنا الحاضر ، وعلى أية
حال فإن غالبية المسيحيين لا يزالون في هذا الجدل ، ويقفون بثبات وراء هذا
المعتقد الاساسي من ديانتهم^(١).

هكذا أصبح التثليث معتقداً أساسياً للمسيحية لكنه لا يستند إطلاقاً على
قاعدة من الكتاب المقدس ... إنه من عمل الانسان أصلاً. وهو مثل آخر على
الكيفية التي اقتبست بها العقائد الوثنية في الدوغما (العقيدة) المسيحية من
أجل أن تُصبح المسيحية أكثر استساغة لأقوام وثنيين.

والاغلبية من المسيحيين عندما يطلب منهم أن يفسروا هذا المعتقد
لا يستطيعون أن يجيبوا بأكثر من « إنني أعتقد بهذا لأنني أمرت أن أعتقد به » ،
وهم يفسرونه بأنه « سرّ » (من أسرار الدين يعرفه المرء بالإلهام وحده
ولا يستطيع أن يفهمه فهماً كاملاً).

وحتى مؤسس هذا المعتقد واجه بعض الاشكالات في فهمه : فقد قيل إن
أناستاسيوس ، وهو المطران الذي صاغ معتقد الثالوث ، قد اعترف بأنه كلما كتب

(١) نظرة عن قرب في المسيحية : ٣٨.

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٧٠
أكثر حول هذه المسألة أصبح أقل قدرة على التعبير بوضوح عن أفكاره
بخصوصها^(١).

ثالثاً : عقيدة الغفران :

ان معتقد « الغفران » ينصّ ببساطة على أنّ عيسى قاسى ومات على
الصليب من أجل أن يخلص الانسان من نير الخطيئة.
وهي عقيدة تعتمد عليها العقائد المسيحية الأخرى تماماً في جوهرها ،
كالوهية المسيح ، والثالوث ، والخلاص عن طريق الايمان.
وفي نظر بولص ، فإن البشر هم جنس من الخطاة ، وهذا « امتياز » مشكوك
فيه ورثه الكل من آدم وخطيئته عندما أكل من الشجرة المحرّمة في جنة عدن.
وهذه « الخطيئة الاصلية » صبغت كل الجنس البشري منذ آدم. وبسبب صبغة
الخطيئة هذه فإن الانسان لا يستطيع أن يقوم هو بمهمة خلاصه ، ولكن عيسى
يستطيع أن يقوم بهذه المهمة لأنّه لم يخلق من نطفة رجل. ورغم ما في ذلك
من ظلم منطقي لكل من الله والبشر ، فإن المسيحية تبتّ بحماس هذه العقيدة
في الخطيئة الاصلية حتى تبرّر أفكارها عن رسالة المسيح بادّعائها أنّ رسالته
هي التكفير عن أخطاء البشر.

وفي وضعه لهذه العقيدة عن الخطيئة الاصلية فإن بولص يبدو وكأنه
ضرب صفحاً عن كلمات الله لحزقيا في الجزء ١٨ : ٢٠ — ٢٢ : « إنّ الابن
لا يحمل وزر الأب ، وأيضاً لا يحمل الأب وزر الابن »^(٢).

(١) نظرة عن قرب في المسيحية : ٣٨ .

(٢) نظرة عن قرب في المسيحية : ٤٠ . ٤١ .

الفصل الثاني : معالم في الانجيل ٧١

وحسب ما يقوله بولص فإن مخلص البشرية جاء في هيئة عيسى : « إنّ الله أرسل ابنه الوحيد إلى الأرض حتى يتحمل الألم والموت على الصليب ، لكي تكون إراقة دمه هي التي تكفّر عن خطايا البشر ». إنّ عيسى كان هو الضحية القربانية.

إن بولص تذكّر القرايين التي يقدمها اليهود لله في العهد القديم ، وبطريقة ما قرّر أن هذه القرايين كانت تُقدّم حتى يتلقى الناس عفو الله عن ذنوبهم. وبينما كانت القرايين تُقدم من قبل اليهود القدماء من أجل التكفير ، فإنّ الأنبياء الذين جاؤوا بعد ذلك أمروا بأن يكف اليهود عن ذلك. ففي هُوشع ٦ : ٦ ، مثلاً ، نقرأ :

« لأنني أرغب في حُبّ ثابت وليس في قربان ».

إنّ الله أراد حباً - وهذا يأتي من إيمانٍ به وطاعة لقوانينه - ولم يطلب دمًا ، إنّ عيسى أكّد هذا المفهوم مرة أخرى في إنجيل متى ٩ : ١٣ حيث نقرأ :

« اذهبوا وتعلموا ماذا يعني هذا الكلام : أنا أرغب في الرحمة وليس في القربان »

أما بولص فقد ازاح كل هذا جانبا على أية حال قائلاً : إنّ عيسى ، وهو كائن كامل ، أصبح « القربان الأكبر » عندما قدّم حياته على الصليب.

إن نظرية بولص هي أن الله لا يمكن اعتباره عادلاً إلا إذا اقتصر من الخطاة ، والتوبة وحدها ببساطة لاتستطيع أن تقدم التبرير « الضروري » للذنوب المرتكبة. فالتكفير - كما يقول هو - ضروري لأنّ شرف الله وعدالته وقدسيته وكماله لا يمكن أن تتحقق « بمجرد » التوبة.

وبالنسبة إلى المسيحي فإنّ عيسى صالح الناس مع الله من خلال موته. لقد ألقى المؤلف المسيحي أنيس شروش نظرة متمعنة على هذه المسألة منذ

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٧٢
عدة سنين مضت ، وقد استنتج أنه ليس هناك تكفير في الاعتراف والتوبة ، إذ
من الذي سيدفع ثمن ذنوبنا ^(١) .

وإحدى الموضوعات التي أرساها بولص وتبرز مرة بعد مرة في
المسيحية وخاصة فيما يتعلق ببعسى ، هي موضوع حب الله.

وحسب ما يقول المسيحيون ، فإن حب الله هو وراء صلب وموت
عيسى ... وعلامة حب الله هي الصليب كما يقولون. وحسب طريقة تفكيرهم
فإن الله هكذا أحبنا بحيث أرسل عيسى وجعله يُعاني ويموت حتى يُخلص
الجنس البشري من خطاياها ^(٢) .

رابعاً : من الختان إلى التعميد :

لقد ابتدأ بولص بالشيء الذي كان الاميون يُبدون أكبر رفض له :
« الختان » . وحسب ما يقول بولص فإن إبراهيم كان صالحاً قبل أن يختن ،
فلماذا الاهتمام بعد هذا بالختان ؟

والذي أهمله بولص ، على كل حال ، كان حقيقة أن الله كان قد عقد ميثاقاً
قبل مئات السنين مع إبراهيم محتوماً بأوامر الله بالختان من جانب إبراهيم
وكل ذريته من الذكور بعد ذلك. ففي سفر التكوين ١٧ : ١٤ فإن الله كان واضحاً
حول هذه المسألة :

« إن الطفل البشري غير المختون والذي تكون قلفته غير مطهرة ، فإن هذه
النفس سوف تقطع من شعبه لأنه نقض ميثاقي » .

(١) نظرة عن قرب في المسيحية : ٤١ - ٤٢ .

(٢) نفس المصدر : ٤٣ .

الفصل الثاني : معالم في الانجيل ٧٣
ولا يستطيع المرء إلا أن يعجب كيف استطاع بولص أن يزيع هذه
الكلمات جانباً بهذه الجرأة. لقد أبدل الختان بالتعميد ، وهو رش الماء ، الذي
أصبح الآن الوسطة لختم ميثاق بين الله وبين الفرد المسيحي. إن الأميّين (غير
اليهود) ، بطبيعة الحال ، كانوا قد اهتزوا طرباً لهذا.

بعد ذلك اختفت أمور الشريعة الواحدة بعد الأخرى ، وفي فترة قصيرة من
الزمن فإنّ شريعة الله أصبحت لاشيء أكثر من تحضير لقوة الخلاص من
عيسى للمسيحيين ... أي إن الشريعة أصبحت شيئاً لا يستحق الاهتمام.
وبينما الأعمال الصالحة - حسب قول بولص - تأتي فطرياً للمسيحي ،
فإنّ عليه أن يعرف أن الأعمال الصالحة لوحدها سوف لن تكفي بنفسها في
الخلاص ، فقط الايمان بقوة الانقاذ في عيسى يمكن أن تفعل ذلك (١).

٤ . ماذا عن الانجيل الخامس

« إنجيل برنابا »

هذا الانجيل الذي يتنكر له المسيحيون قاطبةً ، ماهي قصته ؟
يذكر التاريخ أن البابا جلاسيوس الأول ، الذي جلس على ااريكة
البابوية سنة ٤٩٢ م ، أصدر أمراً بتحريم قراءة عدد من الكتب ، وذكر في
عدادها : « إنجيل برنابا ».

ومن هذا نفهم أن إنجيل برنابا كان معروفاً حتى ذلك العهد ، غير أن
المعروف في تلك العهود القديمة أن الكتب الدينية الرئيسية لم يكن مسموحاً
للعمامة بقراءتها ، بل كانت حكراً على كبار رجال الدين وحدهم !

(١) نظرة عن قرب في المسيحية : ٥٢ . ٥٣ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والإنجيل والقرآن) ٧٤
ونفهم أيضاً أن في إنجيل برنابا تعاليم مخالفة لهذه التعاليم التي اعتمدها
الكنيسة في ذلك الوقت.

وفي كتاب « أكسيهومو » المطبوع بلندن سنة ١٨١٣ ، ورد فهرست للكتب
التي ذكر المشايخ من قدماء المسيحيين أنها تنسب إلى المسيح وأتباعه ، وعد
من هذه الكتب : إنجيل برنابا.

والمستشرق سايل ذكر في مقدمة ترجمته للقرآن الكريم أن الراهب
اللاتيني « فرامينو » ذكر أنه وجد رسائل للقديس « ابريناوس » من الجيل
الثاني للمسيح ، وفي جملتها رسالة يندد فيها بيولص ، ويذمه ، ويسند تنديده
إلى إنجيل القديس برنابا. فصار الراهب المذكور شديد الشوق إلى العثور على
هذا الإنجيل ، وتوفى أخيراً للعثور عليه في مكتبة البابا سككتس الخامس. كان
ذلك في أواخر القرن السادس عشر.

ثم ظهرت لهذا الإنجيل نسخة إيطالية سنة ١٧٠٩ م ، ثم عشر في وقت
قريب من هذا التاريخ على نسخة أسبانية لإنجيل برنابا ، نقلها الدكتور
منكهوس إلى اللغة الإنجليزية ، ودفع الأصل مع الترجمة إلى الدكتور هويت
سنه ١٧٨٤ م.

ثم شاع خبر هذا الإنجيل في القرن نفسه ، الثامن عشر ، ولم يعرف لإنجيل
برنابا نسخة عربية ، ولا ذكر اسمه في تاريخ العرب والمسلمين على الإطلاق ،
حتى قام الدكتور خليل سعادة بترجمته إلى العربية سنة ١٩٠٨ م.

من هو برنابا ؟

جاء ذكره في العهد الجديد ، فقالوا : إن اسمه يوسف ، أو يوسى ، ثم سماه

الفصل الثاني : معالم في الانجيل ٧٥
الرسل « برنابا » أي ابن الوعظ. وأصله لاوي قيرصي ، كان له حقل باعه وأتى بالدرهم إلى الرسل (٤٤١ : ٣٦ و ٣٧). وأرسله الرسل ليحتاز إلى أنطاكية للوعظ والتثبيت على الايمان بالمسيح ، وكان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والايان (١١٤١ : ٢٢ و ٢٤).

خلاصة العقائد والموقف من بولص في انجيل برنابا :

يقول برنابا في أوليات كتابه : « إن الله العظيم افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيّه يسوع المسيح ، برحمة عظيمة للتعليم ومن الآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ! ورافضين الختان ! الذي أمر الله به دائماً ، مجوزين كل لحم نجس ! الذين ضل في عدادهم أيضاً بولص ، الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى ».

وقال في آخره : « فإن فريقاً من الأشرار المدعين أنهم تلاميذ بشروا بأن المسيح مات ولم يقم ، وآخرين بشروا بأنه مات بالحقيقة ثم قام ، وآخرين بشروا ولايزالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله ! وقد خُذع في عدادهم بولص ».

إنجيل برنابا وذكر الرسول محمد ﷺ (١)

من بين الأناجيل الأربعة تفرد إنجيل يوحنا برد قصة العشاء الأخير للمسيح قبل القبض عليه ، ووصيته في هذا العشاء ، فأورد لها أربعة أصحابات (من ١٤ - ١٧) ، وتركز هذا الوصايا على اتباع الرجل الآخر الذي سيبعثه الله

(١) إنجيل برنابا : ٦٣ ، فصل ١١ ، فقرة ٢٩ ، و ٦٩ ، فصل ٤٤ ، فقرة ١٩ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٧٦
بعد المسيح ، ويسميه إنجيل يوحنا الفارقليط Paraclete وقد كتب يوحنا
باليونانية ، وقد ترجمت هذه المفردة بالمخلص والمعزّي ، كما تعني أيضاً « من
له الحمد الكثير » أي الأحمد والمحمد. أما نصوص يوحنا حول الفارقليط ،
فهي :

قال يسوع : « إذا كنتم تحبونني فستعملون على اتباع أوامري ، وسأصلي
للأب الذي سيعطيني فارقليط آخر » (١ ، ١٥ ، ١٦)
و « رحيلي فائدة لكم ، لأنني إذا لم أرحل فالفارقليط لن يأتي
إليكم » (١٦)

و « عندما سيأتي روح الحقيقة فسيجعلكم ترقون إلى الحقيقة بكاملها
ولأنه لن يتكلم بإرادته ، وإنما سيقول ما يسمع ، وسيعرّفكم بكل ما يأتي ،
وسيمجّدني » (١٦)

هذه الوصايا كلها ، بل الحديث الذي تضمنها كله ، ليس له أثر في
الأنجيل الثلاثة السابقة^(١).

أما إنجيل برنابا فعلى العكس من ذلك ، جاءت فيه الصورة أكثر وضوحاً
عندما تحدث عن هذا الفارقليط باسمه الحقيقي ، لا بوصفه ، وقد اختص الفصل
(١٦٣) منه لهذا الموضوع ، والذي ابتداءً بحديث المسيح لتلاميذه بعد صلاة
الظهيرة ، وقد جلس بجانب نخلة ، وجلس تلاميذه تحت ظل النخلة ، فابتداءً
يحدثهم عن الانسان المصطفى « الذي تتطلع إليه الأمم ، الذي تتجلى له أسرار
الله تجلياً » « فطوبى للذين سيصغون السمع إلى كلامه حتى جاء إلى العالم ».

(١) موريس بوكاي : ١٣٢ - ١٣٦.

الفصل الثاني : معالم في الانجيل ٧٧

أجاب التلاميذ : يا معلم ، من عسى أن يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه ، الذي سيأتي إلى العالم ؟ أجاب يسوع بابتهاج قلب : « إنه محمد رسول ، ومضى جاء إلى العالم فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر بالرحمة الغزيرة التي يأتي بها ، كما يجعل المطر الأرض تعطي ثمراً بعد انقطاع المطر زمنناً طويلاً ، فهو غمامة بيضاء ملأت برحمة الله ، وهي رحمة ينثرها الله رذاذاً على المؤمنين كالغيث »^(١).

وليس هذا هو النص الوحيد في إنجيل برنابا عن البشارة بنبي الاسلام ﷺ ، بل فيه نصوص متقدمة عن السيد المسيح ، ذكرها برنابا لوحده^(٢).

(١) إنجيل برنابا : ٢٥٢ ، الفصل ١٦٣ .

(٢) إنجيل برنابا ، الفصل ١١ ، الفقرة ٢٩ ، والفصل ٤٤ ، الفقرة ١٩ .

الفصل الثالث معالم في القرآن الكريم

(١)

تاريخ القرآن

إذا كان البحث في تاريخ التوراة والانجيل قد أثبت قضايا مثيرة للدهشة ،
تؤكد تدخل الكتاب في تعديل بعض النصوص ، وإلغاء نصوص أخرى. بل في
وضع مواد كاملة ليست من وحي السماء ولا من حديث الأنبياء ، فإن الأمر مع
القرآن الكريم مختلف تماماً.

لقد امتاز القرآن الكريم منذ البداية وعلى امتداد نزوله بمزية لم تكن
لغيره من الكتب السماوية ، وهي مزية الحفظ والتلاوة المكررة ، والتناسل
فيها ، إضافة إلى مزية التدوين المباشر لما ينزل من الوحي ، وبأمر الرسول ﷺ .
ساعد على ذلك تدرج القرآن الكريم في نزوله ، آية أو آيتين ، أو بضع آيات ، أو
سورة واحدة قصيرة أو متوسطة ، يتلوها الرسول على مسامع أصحابه ،
فيتنافسون في حفظها ، ويأمر هو ككتاب الوحي الذين عينهم لهذا الشأن
بتدوينها.

وساعد عليه أيضاً الموقع الفريد للقرآن الكريم في قلوب المسلمين ، فهم

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٨٠
يترقبون نزول الآيات ويتلهفون لها ، فإذا ما سمعوها من فم الرسول استشرقت
لها صدورهم ، والتفوا جماعات جماعات يحفظونها ويتبادلون الحديث في
معانيها ، مع ما يأخذونه من الرسول نفسه من معانيها وأحكامها. كل ذلك كان
في زمن امتازت به بيعة القرآن بقوة الحافظة والتفاخر فيها ، فكانت الحافظة
عندهم بديلاً عن الكتابة ، حتى جاء القرآن الكريم فسارت الكتابة إلى جنب
الحافظة ، تصون إحداهن الأخرى وتقويها وتؤكداه.

« وكان شعار الاسلام وسممة المسلمين حينئذٍ التجمّل والتكّمّل بحفظ
ما ينزل من القرآن الكريم ، لكي يتبصّر بحججه ، ويتنوّر بمعارفه وشرائعه
وأخلاقه الفاضلة ، وتاريخه المجيد ، وحكمته الباهرة ، وأدبه العربي الفائق
المعجز. فاتخذ المسلمون تلاوته لهم حجّة الدعوة ، ومعجزة البلاغة ، ولسان
العبادة لله تعالى ، ولهجة ذكره ، وترجمان مناجاته ، وأنيس الخلوة ، وترويح
النفس ، ودرساً للكمال ، وتمريناً في التهذيب ، وسلماً للتزقي ، وتدريماً في
التمدّن ، وآية الموعظة ، وشعار الاسلام ، ووسام الايمان والتقدم في
الفضيلة »^(١).

لكل هذا كان حفظ القرآن وتلاوته شغل الصحابة وعبادتهم المفضلة بعد
الفرائض ، فقد « كان لمسجد رسول الله ﷺ ضجة بتلاوة القرآن ، حتى أمرهم
الرسول أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا »^(٢).

(١) آلاء الرحمن في تفسير القرآن / الشيخ محمد جواد البلاغي ١ : ٤٩ ، تحقيق
مؤسسة البعثة ، قم ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ.

(٢) مسند أحمد ٥ : ٣٢٤ ، المستدرک على الصحيحين ٣ : ٣٥٦.

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ٨١
وكثر الحفاظ ، حفاظ السور المتعددة ، وحفاظ القرآن كله ، كاملاً ، وامتناز
من بين هؤلاء عدد من الصحابة جمعوا القرآن كتابة اضافة إلى الحفظ ، ومن
مجموع الأخبار التي تحدثت عن هؤلاء يصل مجموعهم إلى تسعة عشر ،
ثمانية عشر رجلاً ، وامرأة واحدة هي ورقة بنت عبد الله بن الحارث (١).

من أدلة تدوين القرآن في عهد الرسول ﷺ :

الادلة كثيرة ومتواترة على أن القرآن الكريم كان يكتب في عهد
الرسول ﷺ ومنذ وقت مبكر ، وغالباً ما كان يكتب بين يديه ، أو يعرض عليه ،
نختار طائفة من هذه الأدلة :

١ - قال زيد بن ثابت ، أحد كبار الحفاظ والكتاب : « كنا عند رسول
الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع » (٢). أي نجمله في كتاب واحد من مجموع
الرقاع التي كتبت عليها سور القرآن وآياته وقت النزول ، وهي متواترة عند
مئات الأصحاب. وهو كلام واضح في الكشف عن مرحلتين للتدوين ؛ مرحلة
أولى مبكرة ومباشرة ، تدون فيها الآيات والسور المنزلة على الرقاع ، ثم مرحلة ثانية
يتم فيها جمع آيات السور وترتيبها بإشراف الرسول ﷺ في كتاب واحد.

٢ - قال زيد بن ثابت نفسه : كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ ... فكنت
أدخل عليه بقطعة الكتف أو كسرة ، فاكتب وهو يملي عليّ ، فإذا فرغ قلت قال :

(١) سلامة القرآن من التحريف / علي موسى الكعبي : ٩٢ - ٩٣ ، إصدار مركز

الرسالة ، قم ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٢ : ٢٢٩ و ٦١١.

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٨٢
أقرأه. فأقرؤه ، فإذا كان فيه سقط أقامه ، ثم أخرج إلى الناس^(١).

٣ - قال عبد الله بن عباس ، وكان له مصحف جمعه بنفسه : إن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه الشيء دعا من كان يكتب فيقول : ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا^(٢).

٤ - وقد كان تدوين القرآن عملاً مبكراً جداً ، مصاحباً لنزوله ، تدل عليه القصة الشهيرة في إسلام عمر بن الخطاب ، إذ وجد عند اخته وزوجها صحيفة مكتوب عليها سورة الحديد ، وصحيفة أخرى مكتوب عليها سورة طه^(٣). فلم يكن المسلمون الأوائل يعتمدون على المحافظة وحدها ، بل اعتمدوا التدوين المبكر أيضاً.

٥ - تفيد طائفة من الأحاديث أن المصاحف كانت موجودة على عهد رسول الله ﷺ ، متوافرة ، عند المسلمين ، حتى لو كان بعضها يحتوي على بعض سور القرآن لاكلها ، فقد كانت هذه المصاحف وسيلتهم في التلاوة اليومية للقرآن الكريم ، وطائفة الأحاديث الواسعة التي تؤكد هذا ، تؤكد قبله على حث الرسول نفسه ﷺ على كتابة القرآن وجمعه ، ومن هذه الأحاديث النبوية الشريفة :

« النظر في المصحف عبادة ».

« أدبوا النظر في المصحف ».

(١) مجمع الزوائد ١ : ١٥٢ .

(٢) الجامع الصحيح للترمذي ٥ : ٢٧٣ ، المستدرک ٢ : ٢٢٢ ، مسند أحمد ١ : ٥٧

و ٦٩ ، تاريخ يعقوبي ٢ : ٤٣ .

(٣) الموسوعة القرآنية ١ : ٣٥٢ ، والقصة ثابتة في سائر كتب السير .

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ٨٣

- « أعطوا أعينكم حفظها من العبادة » قالوا : وما حفظها من العبادة ؟ قال ﷺ :
« النظر في المصحف ، والمتفكر فيه ، والاعتبار عند عجائبه ». ولا ريب أن حفظ
العين محفوظ في المهمة الأولى « النظر في المصحف » ، فوجود مصحف يتلا
منه القرآن كان مفضلاً على تلاوة من الحافظة ، ولا تخفى حقيقة الغرض الأهم
من هذا وهي حفظ القرآن للأجيال القادمة ^(١).

هذه أدلة كافية على أن القرآن الكريم كان يدون في وقت نزوله ، ويجمع
ويرتب مباشرة بأشرف الرسول ﷺ ، الأمر الذي وقّر له سلامته من النقصان
ومن التحريف ومن التصرف. وإضافة إلى هذا فإن عملية مراجعة شاملة لكل
ما نزل من القرآن كانت تجري سنوياً ، وفي السنة التي توفي فيها رسول
الله ﷺ كررت هذه العملية مرتين ، وفي حينها كان القرآن قد اكتمل نزوله ^(٢).
هذا غير مبادرات الصحابة أنفسهم لعرض مصاحفهم على رسول الله ﷺ ، وقد
عرف هذا في تاريخ عدد غير قليل منهم ، عدّهم الذهبي سبعة : « عثمان بن
عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ،
وأبو موسى الأشعري ، وأبو الدرداء » ^(٣). ولا يعني اشتهار أخبار هؤلاء السبعة
أن الأمر كان مقصوراً عليهم ، بل قد يعني فقط أن الأمر معهم أكثر ثباتاً وشهرةً
وأهمية.

(١) سلامة القرآن من التحريف / علي موسى الكعبي : ٩٣ - ٩٤.

(٢) راجع : صحيح البخاري ٦ : ٣١٩ ، مجمع الزوائد ٩ : ٢٣ ، كنز العمال ، الحديث

٣٤٢١٤.

(٣) البرهان في علوم القرآن / الزركشي ١ : ٣٠٦.

يتضح من كل هذا ، وهو بعض الأدلة الثابتة فقط لاكلها ، أن مهمة حفظ القرآن الكريم وتدوينه كانت واحدة من المهمات التي تبناها الرسول ﷺ بنفسه ، فأشرف عليها مدة حياته كلها ، فكأنه كان يرعى مؤسسة ناشطة مهمتها تدوين القرآن والتحقق المستمر من كل ما تم تدوينه بين الآونة والأخرى ، وهي مؤسسة عظمى تلك التي يرعاها الرسول المكرم بنفسه ، وينتمي إليها رجال من عمالقة الصحابة علماء ومعرفة وإخلاصاً.

من هنا كانت المهمة اللاحقة ، وهي إعادة تدوين القرآن في مصحف واحد ، وبترتيب واحد ، هو الترتيب الذي عرضه الرسول الأكرم في عرضه الأخير ، مهمة يسيرة للغاية ، لم تتطلب إلا أياماً معدودة في عهد أبي بكر ، أنجزها طائفة من هؤلاء النفر الذين كتبوا القرآن كله وعرضوه أكثر من مرة على الرسول محمد ﷺ « وقد كانت ألوف المصاحف رقيقة على الحفاظ ، وألوف الحفاظ رقباء على المصاحف ، وتكون الألوف من كلا القسمين رقيقة على المتجدد منها ، نقول الألوف ولكنها مئات الألوف وألوف الألوف ، فلم يتفق لأمر تاريخي من التواتر وبداهة البقاء مثل ما اتفق للقرآن الكريم »^(١).

لعل هذه أول وأهم مزية امتاز بها القرآن على ما سواه من الكتب السماوية ، وخاصة التوراة والانجيل ، التي لم تحظ بشيء من هذه العناية لا في الحفظ ، ولا في التدوين ، الأمر الذي جعلها عرضة لكل ما أصابها مما وقفت على أطراف منه.

يقول موريس بوكاي : إن لتنزيل القرآن تاريخاً يختلف تماماً عن تاريخ

(١) آلاء الرحمن / البلاغي : ٥١ . ٥٢ .

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ٨٥
العهد القديم والأنجيل ، فتنزيله يمتد على مدى عشرين عاماً تقريباً ، وبمجرد نزول جبريل على النبي كان المؤمنون يحفظونه عن ظهر قلب ، بل قد سُجِّل كتابه حتى في حياة محمد.

إن التجميعات الأخيرة للقرآن التي تمت في خلافة عثمان ، فيما بين ١٢ - ٢٤ عاماً من بعد وفاة النبي قد أفيدت من الرقابة التي مارسها هؤلاء الذين كانوا يعرفون أن النصّ منذ ذلك العصر قد ظلّ محفوظاً بشكل دقيق.
إن القرآن لا يطرح مشاكل تتعلق بالصحة^(١).

هذا المزية حفظت للقرآن الكريم مزيتيه اللاحقتين لها ، وهما : إعجاز القرآن ، وخلوه من الاختلاف والتعارض والتناقض الذي رأينا بعض أمثله في التوراة والانجيل. فإعجاز القرآن في نصه الموحى ونسقه الموحى لم يكن يتحقق له الحفظ إلا بهذا الاسلوب الذي تم فيه حفظ القرآن وتدوينه ، فبقي النص القرآني ثابتاً كما أنزل في كل مفرداته ، وليس آياته فقط ، وهذه مزية لا يستطيع أن يدعيها أحد للتوراة أو للانجيل.

ثم عدم الاختلاف أيضاً ، وعدم التعارض ، هو الأمر الآخر الذي سيترتب على حفظ النص المنزل بحرفه ومفردته ونسقه وسياقه ، دون أدنى مجال لتصرف بشري فيه ، وهذا ما تحقق للقرآن وحده ، بفضل ذلك الجهد الجبار المبكر والمتواصل ، وحرمت منه التوراة والانجيل لغياب هذا النوع من الجهد وانعدامه ، فكانت الابواب مشرعة للتدوين بالمعنى وبحسب القدرة على الحفظ والتذكر ، ناهيك عن احتمال تدخل الاهواء في الغرض عن بعضها أو

(١) موريس بوكاي : ٣٠١.

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٨٦
التصرف في بعضها ، مما وقفنا على نماذج منه على كلا الكتابين.

فبقي القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(١) ولا يدخل إلى ساحته قدح في صحة نصوصه وثباتها وقطعيتها. وهكذا كان وعد الله تعالى مع القرآن : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢) و ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^(٣). هذا العهد الذي لم يدعيه أحد من كتاب التوراة والانجيل ، ولو ادعاه لكان محلاً للنقد ، بل ربما للسخرية أيضاً.

هذه المزايا التي اختص بها القرآن جعلته في منأى عن كل اضطراب وتناقض في مضامينه عامة ، دون استثناء ، مما يوفر علينا مهمة البحث في قضايا عقائدية تناولناها كما هي في التوراة أو في الانجيل ، فالقرآن الموحى من الله تعالى حفظت نصوصه الموحاة بحرفها ، فجاءت معاني التوحيد فيه متسقة منتظمة منسجمة كل الانسجام ، فكلها تتحدث عن إله واحد ، خالق السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما ، لا شريك له ، متعالٍ على خلقه ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، عليم بذات الصدور وما تخفي الاعين ، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، قادر ، مهيمن ، مريد ، فعال لما يريد.

وقد اصطفى من بين خلقه رسالاً وأنبياء بين الأمم ، في أجيالها المتعاقبة ، فكانوا جميعاً وبلا استثناء أكثر أبناء عهودهم كمالاً وحلماً وعلماً ومعرفةً ،

(١) سورة فصلت : ٤١ / ٤٢ .

(٢) سورة الحجر : ٩ / ١٥ .

(٣) سورة القيامة : ٧٥ / ١٧ .

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ٨٧

اختارهم الله لتبليغ رسالاته وهداية البشر ، فسد خطاهم ، فكانوا على أتم الخلق وأكرمها ، أخلصوا قلوبهم لله الذي عرفوه أتم معرفة يبلغها بنو الانسان ، فكانوا النماذج المثلى في كل عهد وفي كل مكان. وهكذا اتسقت الصورة التوحيدية ، مع صورة النبوة وخصائص الأنبياء في القرآن الكريم ، على نحو لا يناله قدح ، ولا يشبهه شيء مما عرضته التوراة خاصة من قصص في غاية الغرابة والنكارة.

فالتوحيد في القرآن هو التوحيد الخالص النقي الذي يأخذ بمجامع القلوب ... والنبوة في القرآن هي المهمة التي تحتل موقعها الحقيقي ومنزلتها العظمى دون خدش أو ريب أو اضطراب.

وهكذا جاءت سائر مواضع العقيدة والأخلاق في القرآن ، في أعلى درجات النظم والتكامل والاتساق والانسجام ، على خلاف ما رأيناه في العهدين ووقفنا على أسبابه ومصادره.

(٢)

القرآن والعلم الحديث

نظرة مقارنة

نعود في هذا المبحث إلى موريس بوكاي الذي استوفاه في مئة وخمسين صفحة^(١) ، بالرغم من وفرة الكتابات الاسلامية في هذا الاتجاه^(٢) ، ذلك أن

(١) موريس بوكاي / المصدر نفسه : ٢٩٩ . ١٥٠ .

(٢) نظير : تفسير الجواهر ، والاسلام يتحدى ، والعلم والایمان ، والطب والقرآن ، والتكامل في الاسلام ، وغيرها كثير .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٨٨
كتابة محقق مسيحي ستكون أدعى للقبول. وقد تناول بوكاي مباحث متعددة
في هذا الباب أثبت في جميعها موافقة العلوم الحديثة لما عرضه القرآن من
قضايا كونية ، وعضوية ، وتاريخية دقيقة ، مقدماً بالقول : « لقد أثارت هذه
الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية ، فلم أكن
أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعوى الخاصة
بموضوعات شديدة التنوع ، ومطابقة تماماً للمعارف الحديثة ، وذلك في نص
كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً ».

ويؤكد موضوعيته بقوله : « في البداية لم يكن لي إيمان بالاسلام ، وقد
طرقت هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق وموضوعية تامة ،
وإذا كان هناك تأثير ما قد مورس ، فهو بالتأكيد تأثير التعاليم التي تلقيتها في
شبابي حيث لم تكن الغالبية تتحدث عن المسلمين ، وإنما عن المحمّدين
لتأكيد الإشارة إلى أن المعني به دين أسسه رجل ! وبالتالي فهو دين علم
القيمة تماماً إزاء الله !! »^(١).

ومن هذه المباحث المتعددة التي توقف عندها بوكاي ، نختار نماذج
قليلة فقط ، مناسبة لهذا الكتيّب المختصر ، وكما بحثها هو واختار عناوينها ، مع
الاختصار الشديد أحياناً لما اختزنه أيضاً من مباحث :

المبحث الأول : خلق السماوات والأرض :

نقاط الاختلاف والتجانس مع رواية التوراة

يختلف القرآن عن العهد القديم من حيث إنه يقدم رواية كاملة عن

(١) موريس بوكاي : ١٥٠ - ١٥١ .

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ٨٩

الخلق. فبدلاً من الرواية الواحدة المستمرة نجد في أماكن متعددة من القرآن فقرات تذكر بعض جوانب رواية الخلق. وهي تشتمل على كثير أو قليل من التفصيلات حول أحداث الخلق. ولكي تكون هناك فكرة واضحة عن الطريقة التي سيقَت بها هذه الأحداث ، لابد من تجميع الفقرات المتناثرة في عدد هام من السُّور. والقرآن يعالج بهذا الشكل عديداً من الموضوعات الهامة ، سواء أكان المقصود ظاهرات دنيوية ، أو سماوية ، أو مسائل خاصة بالإنسان تهم رجل العلم ، وسيجد القارئ في الصفحات التالية مجموعات الآيات الخاصة بكل موضوع من هذه الموضوعات.

يُدَّعي كثير من المؤلفين الأوربيين أن رواية القرآن عن الخلق قريبة إلى حد كبير من رواية التوراة^(١) ، وينشرون لتقدم الروايتين بالتوازي. إني أعتقد أن هذا مفهوم خاطئ ، فهناك اختلافات جلية ، ف فيما يتعلق بمسائل ليست ثانوية مطلقاً من وجهة النظر العلمية نكتشف في القرآن دعاوى لايجدي البحث عن معادل لها في التوراة. كما أن التوراة ، من ناحية أخرى ، تحتوي على معالجات تفصيلية لامعادل لها في القرآن.

إن التجانسات الظاهرية بين النصين معروفة جداً ، فبين هذه التجانسات نجد في الوهلة الأولى أن ترقيم مراحل الخلق المتعاقبة هو نفسه في النصين ؛ فأيام الخلق الستة في التوراة تعادل الأيام الستة في القرآن. ولكن المشكلة ،

(١) رواية التوراة المقصودة هنا هي الرواية المسماة بالكهنوتية ، أما الرواية المسماة باليهودية فهي شديدة الإيجاز في نص التوراة الحالي. بحيث إنهما لاتستحق الاعتبار في هذا المقام.

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٩٠
في الواقع ، أكثر تشابكاً وتستحق وقفة عندها :

تذكر رواية التوراة ، ودون أي غموض ، تمام الخلق في ستة أيام يتبعها يوم الراحة ، يوم السبت ، وذلك بالتجانس مع أيام الأسبوع. ولقد رأينا أن هذه الطريقة في السرد التي استخدمها كهنة القرن السادس قبل الميلاد تستجيب لنيات الحض على ممارسة سبت الراحة : فعلى كل يهودي أن يستريح يوم السبت ^(١) كما فعل الرب بعد أن عمل طيلة أيام الأسبوع الستة.

إن كلمة « يوم » كما يفهم من التوراة تعرف المسافة الزمنية بين إشراقين متوالين للشمس أو غروبين متوالين ، وذلك بالنسبة لسكان الأرض. إن اليوم ، وقد تحدد بهذا المعنى ، يرتبط وظيفياً بدوران الأرض حول نفسها. وواضح تماماً أنه من المستحيل منطقياً أن نتحدث عن « الأيام » بهذا المعنى ذلك أن وجود الأرض ودورانها حول الشمس ، لم تكن قد أنشئت بعد عند أول مراحل الخلق وذلك بحسب رواية التوراة.

أما إذا رجعنا إلى نصوص غالبية ترجمات القرآن فإننا نقرأ فيها — بالتجانس مع ما تعلمنا التوراة به — أن القرآن يقول هو أيضاً بامتداد عملية الخلق على مدة ستة أيام. ولا يمكن بالطبع أن نعتب على المترجمين أنهم قد ترجموا كلمة « يوم » بالكلمة المعادلة لأكثر المعاني شيوعاً للكلمة العبرية. وهكذا تعبر عنها الترجمات عادة مادمننا نقرأ : ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ** ﴾ ^(٢).

(١) أتت كلمة « سبت » من فعل في العبرية يعني الأرتياح.

(٢) سورة الأعراف : ٧ / ٥٤ .

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ٩١

وقليلة حقاً ترجمات القرآن أو التعليقات التي تنبه إلى أن كلمة أيام ، في الواقع ، يجب أن تفهم على أنها تعني « مراحل ». بل لقد ادعى البعض القول بأنه إذا كانت نصوص القرآن الخاصة بالخلق قد قسمت مراحل الخلق في « أيام » فقد كان ذلك يهدف عن قصد إلى استئناف ما كان الكل ، من يهود ومسيحيين في فجر الإسلام ، يعتقد به ، وذلك تجنباً لمهاجمة اعتقاد منتشر.

إن الكلمة مفردة تنحو إلى الدلالة على النهار أكثر منها للدلالة على فترة زمنية بين غروب الشمس وغروبها في اليوم التالي. أما إذا جمعت فلا تعني فقط أيام ، أي وحدات تتكون كل منها من أربع وعشرين ساعة ، بل تعني أيضاً دهنراً طويلاً أو فترة من الزمن غير محدودة وإن طال. ومن ناحية أخرى فمعنى « فترة زمنية » التي يمكن للكلمة أن تدل عليها موجودة أيضاً في القرآن : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾^(١).

ومما هو جدير بالملاحظة أن الآية السابقة على الآية ٥ تذكر بالتحديد الخلق في ستة « أيام ».

﴿ ... فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾^(٢).

وهذا قد بهر كثيراً من المفسرين القدامى الذين كانوا لا يملكون بالطبع أي معارف من تلك التي نملكها اليوم عن مدة مراحل تكوّن الكون ، فظن أبو السعود^(٣) ، الذي لم يكن يملك معرفة عن اليوم كما يحده علم الفلك

(١) سورة السجدة : ٣٢ / ٥ .

(٢) سورة المعارج : ٧٠ / ٤ .

(٣) مفسر ، توفي سنة ٩٨٢ هـ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٩٢
بالاستناد إلى دورة الأرض ، أن من الواجب تصور تقسيم « مراحل » ليس إلى
أيام بالمعنى الذي نفهم عادة بل إلى « نوبات ».

وهناك مفسرون محدثون قد أخذوا بهذا التفسير. فيوسف علي (١٩٣٤)
في تفسيره لكل آية تعالج مراحل الخلق يصر على ضرورة اعتبار أن
الكلمات التي تفسر في سياق آخر بمعنى أيام تفسر هنا في الواقع بمعنى
« فترات طويلة » أو « عصور ».

فمن حقنا إذن أن نقبل ، فيما يتعلق بخلق العالم ، بقول القرآن ضمناً
بفترات زمنية طويلة رقمها بالعدد ٦. ولا شك أن العلم الحديث لم يسمح
للناس بتقرير أن عدد المراحل المختلفة للعمليات المعقدة التي أدت إلى
تشكل العالم هو ست مراحل ، ولكنه قد أثبت بشكل قاطع أنها فترات زمنية
طويلة جداً ، تتضاءل إلى جانبها الأيام كما نفهمها وتصبح شيئاً تافهاً.

إن واحدة من أطول فقرات القرآن التي تتناول الخلق تذكر ذلك ، واطعة
جنباً إلى جنب رواية خاصة بأحداث دنيوية وأخرى سماوية. إن في هذه
الآيات يقول الله للنبي :

﴿ قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ
أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ
فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ
دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ
سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا

بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١﴾ .

هذه الآيات الأربع من سورة فصّلت تقدم جوانب متعددة : تعني الحالة الغازية الأولية للمادة السماوية ، والتعريف الرمزي للسموات بالعدد ٧ ، وسنرى معنى الرقم. ورمزيّ أيضاً الحوار بين الله من جانب والسماء والأرض البدائيين من ناحية أخرى ، المقصود هنا هو التعبير عن خضوع السموات والأرض للأوامر الإلهية بعد تشكلها.

وقد بدا لي أن هناك فقرة واحدة في القرآن تقرر بشكل واضح وجود ترتيب في أحداث الخلق ، ونعني بذلك هذه الآيات :

﴿ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءِ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ (٢) .

إن وصف نعم الله الدنيوية على الناس. ذلك الذي يعبر عنه القرآن ، في لغة تناسب مزارعاً أو بدوياً من شبه الجزيرة العربية ، مسبق بدعوة للتأمل في خلق السماء. ولكن المرحلة التي مد فيها الله الأرض وأخصبها تأتي بالتحديد زمنياً بعد إنجاز عملية توالي الليل والنهار. المذكور هنا إذن هو مجموعتان من الظاهرات جزء منها أرضي والآخر سماوي ، وقد حدث كلاهما في اتصال مع الآخر. وبالتالي فذكر هاتين المجموعتين من الظاهرات يعني أن الأرض كانت بالضرورة موجودة قبل أن تمدّ ، وعليه فقد كانت موجودة حين بنى الله

(١) سورة فصلت : ٤١ / ١٢٠٩ .

(٢) سورة النازعات : ٧٩ / ٢٧ - ٣٣ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٩٤
 السماوات. وينتج من هذا فكرة المصاحبة الزمنية لنمو كل من السماوات
 والأرض بشكل تتداخل فيهما الظاهرتان. وبناء عليه فلا يجب أن ترى أي
 دلالة خاصة في إشارة النص القرآني إلى خلق الأرض قبل السماوات أو خلق
 السماوات قبل الأرض ، فمواضع الكلمات لا تبين وجود ترتيب تحقق الخلق
 في إطاره ، إلا أن تكون تفصيلات أخرى معطاة.

عملية تشكل الكون الأساسية وانتهائها إلى تكوين العوالم :

يقدم القرآن في آيتين خلاصة مركبة ومختصرة للظواهر التي كونت
 العملية الأساسية لتشكيل الكون.

﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا
 وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ ^(١).

ويدعو الله إلى التأمل في خلق الأرض ثم يأمر النبي بأن يقول :

﴿ **ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ...** ﴾ ^(٢).

ويتبع ذلك الوصايا بالطاعة التي أشير إليها أعلاه.

وسنعود فيما بعد إلى الأصل المائي للحياة ، وسندرس ذلك مع مشاكل
 بيولوجية أخرى مذكورة في القرآن. أما الآن فيجب الالتفات إلى ما يلي :

(أ) الدعوى بوجود كتلة غازية ذات جزيئات. فكذاك يجب تفسير
 كلمة « دخان ». إذ يتكون الدخان عموماً من قوام غازي. حيث تعلق به بشكل
 أكثر أو أقل ثبوتاً جزيئات دقيقة قد تنتمي إلى حالات المواد الصلبة أو حتى

(١) سورة الأنبياء : ٢١ / ٣٠.

(٢) سورة فصلت : ٤١ / ١١.

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ٩٥
السائلة مع درجة في الحرارة قد تقل أو تكثر.

(ب) الإشارة إلى عملية الفتق للكتلة الفريدة الأولى التي كانت عناصرها في البداية ملتحمة (يقول القرآن الرتق). ولنحدد جيداً أن « فتق » هو فعل القطع أو فك اللحام أو الفصل ، وأن « رتق » فعل اللحام ووصل العناصر بهدف تكوين كل.

هذا المفهوم في تفصيل الكل إلى أجزاء يتحدد بشكل دقيق في فقرات أخرى من القرآن ، وذلك بذكر عوالم متعددة. إن الآية الأولى من أول سورة في القرآن بعد فاتحة : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ^(١) هي : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢).

ويتكرر تعبير ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾ عشرات من المرات في القرآن. وكذلك السماوات فهي تذكر باعتبارها متعددة ، وليس ذلك فقط في صيغة الجمع بل تذكر أيضاً مع ترقيم رمزي وذلك بالاستعانة بالعدد ٧.

الرقم ٧ مستخدم ٢٤ مرة في كل القرآن لتعدادات مختلفة ، وكثيراً ما يعني التعدد دون أن نعرف بشكل محدد سبب هذا الاستخدام بذلك المعنى. إن الرقم ٧ يبدو عند اليونان والرومان وكان له نفس معنى التعدد غير المحدد. وفي القرآن يعود الرقم ٧ على السماوات بمعناها الصفر سبع مرات. كما يشير الرقم مرة واحدة بشكل ضمني إلى السماوات. كما يشير مرة واحدة إلى طرق السماء السبعة ، وبالنسبة لكل هذه الآيات يجمع مفسرو القرآن على أن الرقم

(١) سورة الفاتحة : ١ / ١ .

(٢) سورة الفاتحة : ١ / ٢ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ٩٦
« ٧ » يشير إلى تعدد دون تحديد آخر^(١).

السموات إذن متعددة وكذلك الكواكب المشابهة للأرض. وليس أقل ما يشير دهشة قارئ القرآن في العصر الحديث أن يجد في نص من هذا العصر تصريحاً بإمكان وجود كواكب أخرى تشبه الأرض في الكون ، وهذا ما لم يتحقق منه الناس بعد في عصرنا.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(٢).

وبما أن الرقم « ٧ » يشير إلى تعدد غير محدود ، فيمكن استنتاج أن النص القرآني يشير بوضوح إلى أنه لا يوجد إلا الأرض فقط ، أرض البشر ، بل هناك في الكون كواكب أخرى تشبه الأرض.

سبب آخر لإثارة دهشة قارئ القرآن في القرن العشرين ، تلك التي تشير إلى ثلاث مجموعات من المخلوقات وهي :

. تلك التي توجد في السماء.

. تلك التي توجد على الأرض.

. تلك التي توجد بين السماوات والأرض.

وإليكم بعض هذه الآيات :

(١) إلى جانب القرآن وفي نصوص عصر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله أو في نصوص القرون الأولى التالية التي أوردت أحاديث محمد رسول الله ﷺ نجد أن الرقم « ٧ » كثيراً ما يستخدم مجرد الدلالة على التعدد.

(٢) سورة الطلاق : ٦٥ / ١٢ .

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ

الْأَرْضِ ﴾^(١).

﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾^(٢).

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا

مِن لُّغُوبٍ ﴾^(٣).

إن الإشارة في القرآن إلى « ما بين السماوات والأرض » موجودة في

آيات أخرى^(٤).

بديهي قد يبدو هذا الخلق خارج السماوات وخارج الأرض والذي أشير إليه مرات عدة ، قد يبدو قليل التصور. ولكن ، لكي نفهم معاني تلك الآيات يجب الاستعانة بأحدث الملاحظات البشرية حول وجود مادة كونية « خارج المجرات » (Extra - galactique) كما يجب ، لنفس هذا السبب ، أن نتناول من جديد المعارف التي أثبتتها العلم المعاصر حول تشكل الكون – منتقلين في

(١) سورة طه : ٢٠ / ٦ .

(٢) سورة الفرقان : ٢٥ / ٥٩ .

(٣) تبدو هذه المقولة التي تصرح بأن الخلق لم يتعب الله مطلقا ، تبدو كأنها رد واضح على فقرة رواية التوراة التي ذكرناها في بداية هذا الكتاب ، والتي تقول بأن الله قد استراح في اليوم السابع بعد العمل الذي أنجز في الأيام التي سبقت ، والآية من سورة ق : ٥٠ / ٣٨ .

(٤) راجع : سورة الأنبياء : ٢١ / ١٦ ، وسورة الدخان : ٤٤ / ٧ و ٣٨ ، وسورة النبأ :

٧٨ / ٣٧ ، وسورة الحجر : ١٥ / ٨٥ ، وسورة الأحقاف : ٤٦ / ٣ ، وسورة الزخرف :

ذلك من الأبسط إلى الأعقد . وسيكون هذا موضوع الفقرة التالية .

ولكن ، قبل أن نتقل إلى هذه التأملات العلمية الصرفة يحسن أن نلخص النقاط الأساسية التي يعلمنا بها القرآن فيما يتعلق بالخلق . بالاستناد إلى ما سبق ، فهذه النقاط هي :

١ . وجود ست مراحل للخلق عموماً .

٢ . تداخل مراحل خلق السماوات مع مراحل خلق الأرض .

٣ – خلق الكون ابتداءً من كومة أولية فريدة كانت تشكل كتلة متماسكة تفصلت بعد ذلك .

٤ . تعدد السماوات وتعدد الكواكب التي تشبه الأرض .

٥ . وجود خلقي وسيط « بين السماوات والأرض » .

المادة الكونية المنتشرة بين النجوم :

إن عملية تشكل الكون الأساسية من تكاثف للسديم الأولي ثم من انفصاله إلى أجزاء كوّنت في الأصل كتلاً مجرّية بدورها تجزأت هذه الأخيرة إلى نجوم صنعت منتجات ثانوية هي الكواكب ، وقد تركت هذه الانفصالات المتعاقبة بين مجموعات العناصر الرئيسية ما يمكن تسميته بالبواقي ، وهذه البواقي تسمى علمياً بالمادة الكونية المنتشرة بين النجوم ، وقد وصفت هذه المادة بأشكال مختلفة : فمرة توصف على أنها سُدم براقية تنشر ضوءاً استقبلته من نجوم أخرى ، وقد تتكون من « غبار » أو « أدخنة » على حساب تعبير علماء الفلك ، ومرة أخرى توصف على أنها سُدم مظلمة ذات كثافة شديدة الضعف ، أو على أنها مادة كونية منتشرة بين النجوم تتميز بأنها شديدة الخفاء ، وبأنها تعوق

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ٩٩
المقاييس الفوتومترية في علم الفلك.

إن وجود جسور من تلك المادة بين المجرات لا يشوبه أي شك ، وبرغم ندرة هذه الغازات ، وبسبب الفضاء الهائل الذي تحتله - إذ إن الفضاء الذي يفصل بين المجرات متناه في البعد - فإنها تستطيع أن تعادل كتلة قد تفوق مجموع كتل المجرات ، حتى وإن كانت هذه الغازات قليلة الكثافة. ويعلق ا.بواشو (A.Boichot) على وجود هذه الكتل المنتشرة بين المجرات أهمية أولى. فقد يكون من شأنها أن « تعدل إلى حد بعيد الأفكار الخاصة بتطور الكون ».

مقابلة مع المعطيات القرآنية عن الخلق :

ولنفحص الآن النقاط الجوهرية الخمس التي يعين القرآن عليها معلومات دقيقة خاصة بالخلق.

١ - لقد تخطى المراحل الست لخلق السماوات والأرض ، في قول القرآن ، تكوين الأجرام السماوية ، وتكوين الأرض ، والتطور الذي لحق بهذه الأخيرة بما جعلها بأقواتها قابلة لسكنى الإنسان. لقد وقعت الأحداث الخاصة بالأرض ، في رواية القرآن ، على أربع مراحل. ترى أيجب أن نرى في هذه المراحل معادلاً للعصور الجيولوجية التي يصفها العلم الحديث والتي ظهر الانسان في الرابع منها كما نعلم ...؟! ليس هذا إلا مجرد فرض. والله أعلم.

ولكن ينبغي ملاحظة أن تكوين الأجرام السماوية والأرض قد تطلب مرحلتين كما تشرح ذلك الآيات من ٩ إلى ١٢ من سورة فصلت ٤١. ويعرفنا العلم بأننا إذا أخذنا كمثال (وهو المثال الوحيد الممكن) اعتبار تكوين الشمس ونتاجها الثانوي ، أي الأرض ، نجد أن العملية قد تمت من خلال تكاثف

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١٠٠
السديم الأولي وانفصالهما. وذلك بالتحديد ما يعبر عنه القرآن بشكل صريح
عندما يشير إلى العملية التي أنتجت ابتداء من « الدخان » السماوي « رتقاً ثم
فتقاً ». إننا نسجل هنا التطابق الكامل بين المعطية القرآنية والمعطية العلمانية.

٢ - أوضح العلم تشابك حدثي تكوين نجم (مثل الشمس) وتابعه ، أو
واحد من توابعه (مثل الأرض). ألا يتضح هذا التشابك في النص القرآني مثلما
رأينا ...؟

٣ - إن المطابقة واضحة بين مفهوم السديم الأولي في العلم الحديث ،
والدخان على حسب القرآن للدلالة على الحالة الغازية الغالبة للمادة التي
كونت الكون في هذه المرحلة الأولى.

٤ - إن تعدد السماوات ، الذي عبر عنه القرآن بالرقم الرمزي « ٧ » والذي
رأينا دلالاته ، يتلقى من العلم الحديث تأكيداً له ، وذلك بفضل ملاحظات علماء
الفلك عن نظم المجرات وعددها العظيم. وعلى العكس فإن تعدد الكواكب
التي تشبه أرضنا - على الأقل في بعض الجوانب - هو مفهوم مستخلص من
النص القرآني ، ولكن لم يثبت العلم وجوده حتى الآن. ومع ذلك فيرى
المتخصصون أن هذا مفهوم معقول تماماً.

٥ - يمكن التقريب بين وجود الخلق الوسيط بين « السماوات » و
« الأرض » المعبر عنه في القرآن ، وبين اكتشاف جسيمات المادة التي توجد
خارج النظم الفلكية المنظمة.

بناء على ذلك : فإذا كانت المسائل التي تطرحها رواية القرآن لم تتلق
تماماً حتى يومنا توكيداً من المعطيات العلمية ، فإنه لا يوجد على أي حال أقل

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ١٠١
تعارض بين المعطيات القرآنية الخاصة بالخلق وبين المعارف الحديثة عن
تكوين الكون. ذلك أمر يستحق الالتفات إليه فيما يخص القرآن.

على حين قد ظهر بجلاء أن نص العهد القديم الذي نملك اليوم قد أعطى
عن هذه الأحداث معلومات غير مقبولة من وجهة النظر العلمية. وكيف
لاندهش لذلك خاصة إذا علمنا أن النص الأكثر تفصيلاً عن رواية الخلق في
التوراة^(١) قد كتب بأقلام كهنة عصر النبي إلى بابل ، وقد كان لهؤلاء الكهنة
الأهداف التشريعية (Leqalistes) التي حددناها أعلاه. فاصطنعوا لتلك
الأهداف رواية تتفق ونظراتهم اللاهوتية.

إن وجود هذا الاختلاف بين رواية التوراة والمعطيات القرآنية عن الخلق
جدير بالتنويه أمام الاتهامات - وكلها عفوية - التي لم توفر على محمد ﷺ
منذ بدايات الإسلام. والتي تقول بأن محمداً ﷺ قد نقل روايات التوراة. فيما
تعلق بموضوع الخلق. فإن الاتهام لا يتمتع بأي أساس. كيف كان يمكن
لإنسان ، منذ أربعة عشر قرناً تقريباً ، أن يصحح إلى هذا الحد الرواية الشائعة
في ذلك العصر ، وذلك باستبعاد أخطاء علمية ، وبالتصريح بمبادرته وحده
بمعطيات أثبت العلم أخيراً صحتها في عصرنا؟! هذا فرض لا يمكن الدفاع
عنه. إن القرآن يعطي عن الخلق رواية تختلف تماماً عن رواية التوراة.

المبحث الثاني : علم الفلك في القرآن :

يحتوي القرآن على كثير من التأمّلات في السماوات. وقد رأينا ، في

(١) يحجب نص الكهنة هذه السطور القليلة من الرواية الأخرى المسماة باليهودية ،
فهي من الإيجاز والغموض بما لا يسمح لعقل علمي أن يأخذها في اعتباره.

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والإنجيل والقرآن) ١٠٢

الفصل السابق الخاص بالخلق ، الإشارة إلى تعدد السماوات والكواكب التي قد تشبه الأرض ، وكذلك وجود ما يعرفه القرآن بأنه خلق وسط « بين السماوات والأرض » ، وذلك ما دل العلم الحديث على وجوده. الآيات الخاصة بالخلق إذن قد أعطت بشكل ما فكرة عامة على محتوى السماوات ، أي كل ما هو خارج كوكبنا.

وبالإضافة إلى الآيات التي تصف الخلق بشكل خاص ، فهناك حوالي أربعين آية أخرى تأتي بإيضاحات تكميلية من هذه المعطيات عن علم الفلك. وليس بعض هذه الآيات إلا تأملات في عظمة الخالق ، الذي رتب كل نظم النجوم والكواكب ، تلك التي نعرف أنها موضوعة في مراكز توازن ، وقد شرح نيوتن الثبوت الدائم لهذا التوازن بقانونه عن جاذبية الأجرام.

وتكون هذه الإشارات حديثاً جديداً في التنزيل الإلهي. فلا الإنجيل ولا العهد القديم يعالجان ترتيب الكون (باستثناء المفاهيم التي رأينا مجموع عدم صحتها في رواية التوراة عن الخلق). أما القرآن فهو ينظر طويلاً في هذا الموضوع. فما يحتويه هام ، ومالا يحتويه هام أيضاً. فهو لا يحتوي في الواقع على ذكر النظريات السائدة في عصر تنزيله عن تنظيم العالم السماوي ، تلك النظريات التي أثبت العلم فيما بعد عدم صحتها. وسنعطي على ذلك مثلاً في الصفحات التالية. ولا بد من التنويه بهذا الجانب ذي الطابع السليبي^(١).

(١) كثيراً ما سمعت من هؤلاء الذين يتحالفون في البحث من تفسير وضعي — وتفسير وضعي . فقط لكل مشكلة يطرحها القرآن ، بأنه إذا كان يحتوي على

(أ) تأملات عامة في السماء :

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (١).

﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بَعِيرٍ عَمَدٍ تَرْوُنَهَا ... ﴾ (٢).

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بَعِيرٍ عَمَدٍ تَرْوُنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ... ﴾ (٣).

وتدحض الآياتان الأخيرتان الاعتقاد القائل بعدم إطباق السماء على الأرض لقيام الأولى على عمد.

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا ... ﴾ (٤).

﴿ ... وَبِئْسَ كُفْرًا أَنْ تَقَعَّ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا يَأْذِنَهُ ... ﴾ (٥).

ومعروف أن ابتعاد الأجرام السماوية على مسافات عظيمة ومتناسبة طردياً مع الكتل نفسها يشكل أساس توازنها. فكلما تباعدت الأجرام وهنت

إيضاحات مدهشة في علم الفلك ، فذلك لأن العرب كانوا علماء في هذا الميدان ، ذلك يعني أنهم ينسون ببساطة أن تطور العلم عامة في البلاد الإسلامية قد جاء بعد نزول القرآن ، وأن المعارف العلمية ، على أي حال لم تكن لتسمح في ذلك العصر العظيم لكائن بشري بأن يكتب بعض آيات في علم الفلك التي نجدها في الكتاب. وسنقدم الدليل على ذلك في الفقرات التالية.

(١) سورة ق : ٥٠ / ٦.

(٢) سورة لقمان : ٣١ / ١٠.

(٣) سورة الرعد : ١٣ / ٢.

(٤) الرحمن : ٥٥ / ٧.

(٥) سورة الحج : ٢٢ / ٦٥.

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١٠٤
 قوة جذب كل منها للأخرى. وكلما تقاربت كان لكل منها تأثير على الأخرى ،
 تلك حالة القمر ، فهو لقربه من الأرض (ذلك بالطبع في سياق علم الفلك) ، يؤثر
 بقانون الجاذبية على موقع الماء في البحار ، ومن هنا تجيء ظاهرة المد
 والجزر. إن التقارب الشديد بين جرمين سماويين يؤدي لامحالة إلى
 اصطدامهما. إن الخضوع للتوازن هو الشرط الأساسي لعدم وجود اضطرابات.

ومن ثم فالقرآن كثيراً ما يذكر خضوع السماوات لأمر الله.

يقول الله للنبي ﷺ :

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾^(١).

وقد رأينا كيف يجب أن نفهم أن السماوات السبع تعني السماوات متعددة
 وليس سماوات محدودة بعدد.

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٢).

﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾^(٣).

﴿ ... وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ... ﴾^(٤).

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾^(٥).

هنا تكمل الآية الأخرى : فنتيجة الحسابات المذكورة هي انتظام رحلة

(١) سورة المؤمنون : ٢٣ / ٨٦.

(٢) سورة الجاثية : ٤٥ / ١٣.

(٣) سورة الرحمن : ٥٥ / ٥.

(٤) سورة الأنعام : ٦ / ٩٦.

(٥) سورة إبراهيم : ١٤ / ٣٣.

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ١٠٥
الأجرام السماوية ، والقرآن يعبر عن هذا الانتظام بكلمة « دأب » وهي في
النص على شكل اسم فاعل لفعل معناه الأول العمل بهمة وبلانقطاع. وقد
أعطى هنا المعنى التالي : « الاجتهاد في عمل شيء ما بعناية ، وبشكل دائم
لا يتغير ، وبحسب عادة ثابتة » (١).

﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ (٢).

هذه إشارة إلى تقوس عرجون النخل الذي يتخذ شكل الهلال عندما
يجف. وسنكمل التفسير فيما بعد.

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٣).

ويشير القرآن إلى التبيحة العملية للبنية السماوية مع التأكيد على أهميتها
في تسهيل انتقالات الإنسان على الأرض وفي البحر وفي حساب الزمن.
وتتضح هذه الملاحظة عندما نتذكر أن القرآن في الأصل كان رسالة موجهة
إلى أناس لم يكن في مقدورهم أن يفهموا إلا اللغة السهلة ، لغتهم اليومية. وذلك
هو سبب وجود تأملات كالتالية.

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ
فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤).

(١) انظر : الكشاف للزمخشري ٢ : ٣٠٣.

(٢) سورة يس : ٣٦ / ٣٩.

(٣) سورة النحل : ١٦ / ١٢.

(٤) سورة الأنعام : ٦ / ٩٧.

﴿ ... وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾^(١).

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾^(٢).

وهنا نتحقق ملاحظة : على حين وصفت التوراة الشمس والقمر بمنيرين ، مضيئة صفة الكبر إلى الأولى والصغر إلى الثاني ، يخص القرآن كلاً منهما بفروق غير تلك التي تتعلق بالحجم. ولاشك أن الفرق في القول فقط ولكن كيف كان يمكن مخاطبة الناس في ذلك العصر دون بلبستهم مع التعبير في الوقت ذاته عن فكرة أن الشمس والقمر ليسا كوكبين منيرين من طبيعة واحدة...؟

(ب) طبيعة الأجرام السماوية : الشمس والقمر

تسمى الشمس في القرآن بالضياء ، ويسمى القمر بالنور. وإذا شئنا الحقيقة ، ففرق المعنى بين الاثنين ضئيل حتى وإن كان أصل ضياء « ضوءاً » ويعني برق ولمع (يقال ذلك عن النار ... إلى آخره).

ولكن القرآن يحدد الفرق بين الشمس والقمر عبر مقارنات أخرى.

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾^(٣).

﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمَآوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا

(١) سورة النحل : ١٦ / ١٦ .

(٢) سورة يونس : ١٠ / ٥ .

(٣) سورة الفرقان : ٢٥ / ٦١ .

وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١﴾ .

﴿١﴾ وَبَيْنَمَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿٢﴾ .

وواضح تماماً أن السراج الوهاج هو الشمس.

ويعرف القمر هنا باعتباره جرمًا منيرًا ، وأصل الكلمة « نور » (وهي صفة

القمر). أما الشمس فيقارنها القرآن (بالسراج) أو بسراج وهّاج.

وبالتأكيد فإن الإنسان في عصر محمد ﷺ كان يستطيع التفريق بين

الشمس الجرم السماوي الملهب الذي يعرفه جيداً سكان الصحراء ، وبين القمر

وهو جرم طراوة الليالي. إذن فالمقارنات الخاصة بهذا الموضوع ، والتي نجدها

في القرآن طبيعية تماماً. وما تم الإشارة إليه هنا هو ذلك الإيجاز في

المقارنات. بالإضافة إلى عدم احتواء نص القرآن على أي عنصر مقارن كان

سائداً في ذلك العصر ، وأصبح اليوم وهماً.

المعروف أن الشمس نجم ينتج باحتراقه الداخلي حرارة شديدة وضوءاً ،

على حين أن ليس القمر مضيئاً بذاته. بل هو يعكس الضوء الذي يستقبله من

الشمس كما أنه كوكب حامل (ذلك على الأقل بالنسبة لقرشته الخارجية).

لا شيء إذن في القرآن يناقض كل ما نعرف اليوم عن هذين الجرمين السماويين.

(ج) البنية السماوية :

ما نجد عن هذه المسألة في القرآن يخص النظام الشمسي بشكل رئيسي ،

غير أن هناك أيضاً إشارات إلى ظاهرات تفوق النظام الشمسي نفسه ، ولقد

(١) سورة نوح : ٧١ / ١٥ - ١٦ .

(٢) سورة النبأ : ٧٨ / ١٢ - ١٣ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١٠٨
اكتشفت هذه الظاهرات في العصر الحديث.

وهناك آيتان ، غاية في الأهمية ، تخصان مداري الشمس والقمر :

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(١).

﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(٢).

القرآن يذكر بوضوح أمراً جوهرياً. ألا وهو وجود مدار لكل من الشمس والقمر ، كما يشير إلى تنقل هذين الجرمين في الفضاء كل بحركة خاصة.

وبالإضافة إلى ذلك فقراءة هاتين الآيتين تظهر بالسلب أمراً آخر وهو الإشارة إلى تنقل الشمس على مدار دون تفصيل عن هذا المدار بالنسبة إلى الأرض ، فهذا المدار ظاهري فقط بالنسبة للملاحظ. وقد كان يعتقد في عصر تنزيل القرآن أن الشمس تنتقل مع الأرض كنقطة ثابتة. كان ذلك هو نظام المركزية الأرضية السائد منذ بطليموس (Ptolemee) ، أي منذ القرن الثاني قبل الميلاد ، والذي ظل يحظى بالتأكيد حتى قوبرنيك (Copernic) ، في القرن السادس عشر. هذا المفهوم ، برغم التشيع له في عصر محمد ﷺ لا يظهر في أي موضع من القرآن ، لا في الآيات الكونية ولا في مواضع أخرى.

وجود مدارين للقمر والشمس :

ما يفسر هنا بمدار هو فلك في نص القرآن ، وهي كلمة عربية قديمة.

(١) الأنبياء : ٢١ / ٣٣.

(٢) سورة يس : ٣٦ / ٤٠.

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ١٠٩
وكثير من المترجمين ومن المعلقين يعطون لكلمة فلك معنى كرة ويترجمها
حميد الله بمدار.

ولقد حيرت الكلمة قدامى مفسري القرآن ، إذ لم يكن بمقدورهم أن
يتخيلوا الرحلة الدائرية للقمر والشمس في الفضاء ، وعليه فقد تمثلوا عن
مسيرتي هذين الجرمين صوراً مغلوطة تماماً ، أو على درجات مختلفة من
الصحة. ويذكر حمزة أبوبكر في ترجمة للقرآن بتنوع التفسيرات المعطاة
لكلمة الفلك منها : « هو كهيئة حديد الرحي ، كرة سماوية ، مدار ، بروج ، جري ،
سرعة ، موج مكثوف ... » ولكنه يضيف هذه الكلمة الحكيمة التي قالها الطبري
مفسر القرن العاشر الشهير : « ... ونسكت عما لا علم لنا فيه »^(١). ذلك يوضح لنا
إلى أي حد كان الناس عاجزين عن تمثل فكرة المدار الشمسي والمدار
القمر.

ويتضح من هذا أنه إذا كانت كلمة فلك تعني مفهوماً سائداً في عصر
محمد ﷺ ، لما لقي تفسير هذه الآيات مثل هذه المصاعب ، وعليه فقد قدم
القرآن في ذلك العصر مفهوماً جديداً لم يتضح إلا بعد قرون عدة.

الإشارة إلى تنقل القمر والشمس في الفضاء بحركة خاصة :

لا وجود لهذا المفهوم في ترجمات وتفسيرات القرآن التي قام بها أدباء ،
ولجهلهم بعلم الفلك فإنهم قد فسروا من الكلمة العربية التي تعبر عن هذه
الحركة معنى واحداً من معانيها وهو « عام - يعوم » : نجد ذلك في التفسيرات
الفرنسية والتفسير الإنجليزي سواء ، وهذا الأخير الذي قام به يوسف علي في

(١) تفسير الطبري ١٧ : ١٥ و ١٦ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١١٠
ترجمته الإنجليزية يستحق التقدير.

إن الكلمة العربية التي تشير إلى تنقل بحركة خاصة هي (سبح) (وفي الآيتين : « يَسْبَحُونَ »). إن كل معاني الكلمة تتضمن التنقل بحركة يتميز بها الجرم الذي يتنقل. ويكون المعنى سبح إذا كان هذا التنقل في الماء ، ويكون كذلك أيضا إذا كان التنقل على الأرض بالأقدام. وفيما يتعلق بالحركة في الفضاء فمن العسير التعبير عن هذه الفكرة المتضمنة في الكلمة إلا باستخدام معناها الأولي. بهذا الشكل لا يبدو أنه قد وقع خطأ باستخدام معنى أصلي وذلك للأسباب التالية :

— يؤدي القمر دورته حول نفسه في نفس الوقت الذي يتم فيه دورته حول الأرض ، أي فيما يقارب ٢٩ يوماً ونصف يوم ، وبجيث إن وجهه هو دائماً نفس الوجه أمام ناظرينا.

— تدور الشمس حول نفسها في ٢٥ يوماً تقريباً ، وهناك بعض صفات خاصة في الدورة بالنسبة لخط الاستواء والقطبين ، ولن نصر على هذه الخواص ، ولكنها مدفوعة بحركة دورية في المحمل العام.

ويظهر إذن أن هناك فرقاً كلامياً دقيقاً يشير فيه القرآن إلى الحركات الخاصة لكل من الشمس والقمر. ولقد أكد العلم الحديث حركات هذين الجرمين السماويين ، ولا يمكن تصور أن رجلاً في القرن السابع من عصرنا قد استطاع تخيل هذا مهما يكن عالماً في عصره ، وليس ذلك حال محمد ﷺ .

ويدفع أحياناً ضد هذه الرؤية بحالات لمفكرين كبار من العصر القديم كانوا قد صرحوا دون أي جدال ببعض الأمور التي اعترف العلم الحديث

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ١١١
بصحتها. ومع ذلك فلم يكن باستطاعة هؤلاء المفكرين الاعتماد على
الاستنتاج العلمي ، بل كانوا يعتمدون أكثر ما يعتمدون على التعقل الفلسفي.
يدفع كثيراً على سبيل المثال بحالة الفيثاغورثيين الذين كانوا يدافعون في
القرن السادس قبل الميلاد عن نظرية دوران الأرض حول نفسها وجري
الكواكب حول الشمس ، وهي النظرية التي أكد صحتها العلم الحديث. فإذا قمنا
بالتقريب بين حالة الفيثاغورثيين والحالة التي تعيننا ، يصبح من اليسير الدفع
بالفرض القائل بأن محمداً ﷺ كان مفكراً عبقرياً ، وقد تخيل وحده ما اكتشفه
العلم الحديث بعده بقرون. وببساطة فهؤلاء النقاد بتفكيرهم هذا ، ينسون ذكر
الجوانب الأخرى للإنتاج العقلي عند عباقرة التفكير الفلسفي ، كما ينسون ذكر
الأخطاء الجسيمة التي تشين مؤلفاتهم.

على سبيل المثال يجب ألا ننسى أن الفيثاغورثيين كانوا يدافعون أيضاً
عن نظريات ثبات الشمس في الفضاء ، وأتهم جعلوها مركز العالم غير
متصورين وجود بنية سماوية إلا حول الشمس. الواقع أن وجود خليط من
الأفكار الصحيحة والخطئة عن الكون أمر جارٍ عند كبار الفلاسفة القدامى ،
ويجب ألا يبهزنا يريق المفاهيم المتقدمة في هذه المؤلفات الإنسانية ، وينسينا
المفاهيم المغلوطة التي خلقتها أيضاً. ذلك ما يفصلها - من وجهة النظر العلمية
والعلمية فقط - عن القرآن الذي نجد فيه ذكر عديد من الموضوعات المتعلقة
بالمعارف الحديثة دون أن تكون به أي دعوى مناقضة لما أثبتته العلم في عصرنا.

تعاقب النهار والليل :

من الإنسان من لم يكن ليتحدث عن حركة الشمس فيما يتعلق بتعاقب

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١١٢
النهار والليل ، في عصر كانوا يعتبرون فيه الأرض مركز العالم ، وأن الشمس
متحركة بالنسبة إلى الأرض ، وبرغم ذلك فهذا الأمر لا يظهر في القرآن الذي
يعالج الموضوع كما يلي :

﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ... ﴾^(١).

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾^(٢).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾^(٣).

﴿ ... يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾^(٤).

لاحتجاج الآية الأولى إلى تعليق ، والآية الثانية تريد فقط أن تعطي
صورة ، أما الآيتان الثالثة والرابعة فيمكن ، بشكل رئيسي ، أن يمثلتا أهمية
بالنسبة إلى عملية تداخل ، وبالذات تكور الليل على النهار والنهار على
الليل^(٥).

كوّر يعني لف ، كما يقول ر. بلاشير (R.Blachere) في ترجمته القرآن.
والمعنى الأولي لهذا الفعل هو كوّر على الرأس عمامة على هيئة حلزونية.
وتحتفظ كل المعاني الأخرى للكلمة بمفهوم التكور.

وعليه ، فماذا يحدث إذن في الفضاء...؟ إن الشمس تضيء بشكل دائم
(فيما عدا فترات الخسوف) نصف الكرة الأرضية التي تقع أمامها ، على حين

(١) سورة الأعراف : ٧ / ٥٤ .

(٢) سورة يس : ٣٦ / ٣٧ .

(٣) سورة لقمان : ٣١ / ٢٩ .

(٤ و ٥) سورة الزمر : ٣٩ / ٥ .

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ١١٣

يظل النصف الآخر مظلماً. وقد رأى رواد الفضاء الأمريكيون هذا وصوروه من مركباتهم الفضائية وخاصة على بعد بعيد عن الأرض ... من على القمر مثلاً. وبدوران الأرض حول نفسها على حين تظل الإضاءة ثابتة ، فإن المنطقة المضاءة منها - وهي على شكل نصف كروي - تؤدى في أربع وعشرين ساعة دورتها حول الأرض ، على حين يتم النصف الآخر المظلم في نفس الوقت نصف الرحلة. والقرآن يصف بشكل كامل هذه الدورة التي لاتكف أبداً للنهار والليل ، وهي اليوم يسيرة على الإدراك الإنساني ، فنحن نملك اليوم خبرة فكرية عن ثبوت الشمس ^(١) وعن دورة الأرض. هذه العملية الدائمة في التكور مع الولوج المستمر لقطاع في آخر يعبر القرآن عنها ، وكأن اكتشاف استدارة الأرض كان قد تم في عصر تنزيل القرآن ، وبالطبع لم يكن هذا قد حدث بعد.

ويجب أن نربط بهذه الاعتبارات الخاصة بتعاقب النهار والليل إشارات بعض الآيات القرآنية عن تعدد المشارق والمغارب ، وأهمية هذه الإشارات وصفية فقط وملاحظتها أمر شائع ، ولا يشار إليها هنا إلا بهدف النقل الكامل ما أمكن من كمال لما يحتويه القرآن عن هذا الموضوع ، وعلى سبيل المثال فمن هذه الآيات ما يلي :

﴿ ... بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ... ﴾ ^(٢).

(١) فهو ثبوت نسبي.

(٢) سورة المعارج : ٧٠ / ٤٠ .

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾^(١).

﴿ ... بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ... ﴾^(٢) وهي صورة تعبر عن اتساع المسافة بين نقطتين.

إن الملاحظ لشروقات الشمس وغروباتها يعرف جيداً أن الشمس تشرق من نقاط مختلفة في الشرق وتغرب على نقاط مختلفة في الغرب ، وذلك حسب الفصول. إن العلامات التي تتخذ على كل من الأفقين تحدد نقاطاً قصوى تشير إلى مشرقين ومغربين ، توجد بينهما نقاط وسيطة على مدار السنة. ولا شيء غير عادي في هذه الظاهرة. ولكن ما ينبغي للنظر أن يلتفت إليه هو ما يرجع على موضوعات أخرى محل للبحث في هذا الفصل ، ونجد فيها وصف الظواهر الفلكية المذكورة في القرآن ، وهذا الوصف يبدو متطابقاً مع المفاهيم الحديثة.

(د) تطور العالم السماوي :

بتذكيرنا للأفكار الحديثة عن تشكل الكون عرضنا للتطور الذي حدث من القديم الأولي إلى تشكل المجرات والنجوم فيما يخص النظام الشمسي إلى ظهور الكواكب انطلاقاً من الشمس في مرحلة ما من تطورها. وتسمح المعطيات الحديثة بالتفكير في وجود تطور مستمر حتى الآن للنظام الشمسي ، وللكون بشكل عام.

كيف لانقوم بالتقريب ، عندما نكون عارفين بهذه المفاهيم ، بين بعض المقولات التي نجدها في القرآن عندما نذكر شواهد القدرة الإلهية ...؟

(١) سورة الرحمن : ٥٥ / ١٧ .

(٢) سورة الزخرف : ٤٣ / ٣٨ .

القرآن يذكر على مرات متعددة أن الله ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي

لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ، هذه الجملة نجدها في آيات متعددة في القرآن ^(١).

أكثر من ذلك ففكرة الأجل المسمى مشتركة بفكرة مكان للوصول إليه

محدد ، نجد هذا في : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ

الْعَلِيمِ ﴾ ^(٢).

والمكان المحدد هو تفسير الكلمة « مستقر ». وليس هناك أدنى شك في

أن فكرة المكان المحدد مرتبطة بهذه الكلمة.

كيف تبدو المقابلة بين هذه الدعاوى والمعطيات التي أقرها العلم

الحديث ؟... يعطي القرآن حداً لتطور الشمس ومكاناً لوصولها ، وهو حدد

أيضاً نهاية شوط القمر. ولكي تفهم المعنى الممكن لهذه المقولات ، يجب

التذكير بالمعارف الحديثة عن تطور النجوم عامة والشمس خاصة ، وبالتالي

عن المشكلات السماوية التي تتبع بالضرورة حركة الشمس في القضاء والتي

يعد القمر جزءاً منها.

الشمس نجم يقدر علماء الفلك عمره بحوالي ٤.٥ مليار سنة. وكما هو

الحال بالنسبة لكل النجوم فيمكن تحديد مرحلة تطوره. الشمس حالياً في

مرحلة أولى تتسم بتحول ذرات الهيدروجين إلى ذرات الهيليوم : نظرياً يمكن

أن تدوم هذه المرحلة ٥.٥ مليار سنة على حسب الحسابات التي أُنجزت ،

(١) سورة الرعد : ١٣ / ٢ ، سورة لقمان : ٣١ / ٢٩ ، سورة فاطر : ٣٥ / ١٣ ، سورة

الزمر : ٣٩ / ٥ .

(٢) سورة يس : ٣٦ / ٣٨ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١١٦
والتي تقدر لهذه المرحلة الأولى لنجم من نمط الشمس ديمومة زمنية قدرها
١٠ مليارات سنة. تلي هذه المرحلة - كما لوحظ ذلك بالنسبة إلى نجوم أخرى ،
من نفس النمط - فترة ثانية تتميز بتمام تحول الهيدروجين إلى هليوم ، وتكون
نتيجة هذا التحول تمدد الطبقات الخارجية وبرود الشمس النهائية تتناقص
ضوئية الشمس بشدة وترتفع كثافتها بشدة أيضاً : ذلك ما يلاحظ في أنماط
النجوم المسماة بالأقزام البيضاء.

ما يجب الالتفات إليه في كل هذا ، ليس التواريخ ، فهي لا تهم إلا من حيث
إنها تعطي تقديراً تقريبياً لعامل الزمن ، فما يتضح أساساً هو فكرة التطور. إن
المعطيات الحديثة تسمح بالتنبؤ بأنه بعد عدة مليارات من السنوات لن تكون
ظروف النظام الشمسي ما هي عليه اليوم. وكما حدث بالنسبة لنجوم أخرى
سجلت تحولاتها حتى المرحلة الأخيرة فيمكن توقع نهاية للشمس.

تحدثت الآية الثانية المذكورة^(١) هنا عن الشمس جارية نحو مكان
خاص بما « لمستقرها ».

ويحدد علم الفلك الحديث بشكل كامل هذا المكان ، بل لقد أعطاه اسم
(مستقر الشمس) (Apex Solaire). الواقع أن النظام الشمسي يتحرك في
الفضاء نحو نقطة في فلك (Constellation) هرقل مجاورة لنجمة فيجا
(Vega a Lyrae) التي تحددت تماماً إحداثيتها ، ولقد أمكن تحديد سرعة
هذه الحركة تقريباً ١٩ كم / ثانية.

لقد كان من الواجب ذكر معطيات علم الفلك هذه بمناسبة تفسير آيتي

(١) سورة يس : ٣٦ / ٣٨.

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ١١٧
القرآن اللتين نستطيع أن نقول إنهما تتطابقان تماماً فيما يتضح مع المعطيات العلمية الحديثة.

توسع الكون :

توسع الكون هو أعظم ظاهرة اكتشفها العلم الحديث. ذلك مفهوم قد ثبت تماماً ، ولا تعالج المناقشات إلا النموذج الذي يتم به هذا التوسع.
وإذا كانت النسبية العامة هي التي أوحى به ، فإن توسع الكون مفهوم يعتمد على معطيات مادية ، وذلك من خلال دراسات طيف المجرات ، فالانتقال المنهجي نحو اللون الأحمر من الطيف يجد تعليلاً له في تنحي المجرات كل عن الأخرى. وعلى ذلك فامتداد الكون لا يكف عن الكبر. وهذا الاتساع على أهمية أكثر خاصة وإن المجرات تبتعد عنا. إن السرعات التي تنتقل بها الأجرام السماوية قد تتراوح من أجزاء من سرعة الضوء إلى مقادير سرعته.

ترى يمكن أن نقابل الآية التالية ، التي يتحدث فيها الله ، بهذه المفاهيم الحديثة...؟ ﴿ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾^(١). ألا تعنى السماء بالتحديد الكون خارج الأرض ؟ « **وَمُوسِعُونَ** » اسم فاعل لفعل « **أوسع** » ويعني عرض وجعل الشيء شاسعاً وأكثر رحابة.

وبعض المفسرين ممن لم يقدرُوا على إدراك معنى الكلمة الأخيرة أعطوها دلالات تبدو لي معلومة كقول ر. بلاشير « كنا رحابة ». وبعض كتاب آخرين يحدسون المعنى دون أن يجرؤوا على التصريح به : فحميد الله يتحدث

(١) سورة الذاريات : ٥١ / ٤٧ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١١٨
في ترجمته للقرآن عن اتساع السماء والفضاء ، ولكن مع علامة استفهام. من
المفسرين ممن يتحاطون لتفسيراتهم برأي العلماء ويعطون التفسير الذي
قدمنا. وذلك حال من وضعوا تفسير المنتخب الذي طبعه المجلس الأعلى
للشؤون الإسلامية بالقاهرة. إنهم يتحدثون دون أدنى غموض عن توسع
الكون.

المبحث الثالث : أصل الحياة وتناسل الانسان

(أ) أصل الحياة

شغلت هذه المسألة في كل العصور الإنسان ، سواء ما كان يخصه منها أو
ما يخص الكائنات الحية المحيطة به.
وعندما يواجه القرآن أصل الحياة على مستوى عام تماماً ، فإنه يذكر
ذلك بإيجاز بالغ في آية تخص أيضاً عملية تشكل الكون التي ذكرناها وعلقنا
عليها سابقاً.

﴿ **أُولَٰئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا
وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (١)

ليس هناك شك في مفهوم المصدر. فالعبارة يمكن أن تعني أن كل شيء
مصدره الماء كمادة جوهرية ، أو أن أصل كل شيء حي هو الماء. ويتفق هذان
المعنيان تماماً مع [المعطيات] العلمية : فالثابت بالتحديد أن أصل الحياة مائي ،
وأن الماء هو العنصر الأول المكون لكل خلية حية ، فلا حياة ممكنة بلا ماء ؛
وإذا ما نوقشت إمكانية الحياة على كوكب ما ، فإن أول سؤال يطرح هو :

(١) سورة الأنبياء : ٢١ / ٣٠.

أحتوي هذا الكوكب على كمية [من الماء] كافية للحياة عليه...؟

وتسمح المعطيات الحديثة بالاعتقاد بأن أقدم الكائنات الحية كانت تنتمي إلى عالم النبات ، فقد اكتشفت طحالب ترجع إلى ما قبل العصر الكمبري (Prcambnen) أي في أقدم الأراضى المعروفة ، ولا بد أن عناصر عالم الحيوان قد ظهرت بعد ذلك بقليل ، وقد أتت أيضاً من المحيطات .

وتشير كلمة ماء إلى ماء السماء ، كما تعني ماء المحيطات ، أو أي سائل آخر ، وبالمعنى الأول فالماء هو العنصر اللازم لأي حياة نباتية .

﴿ ... وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴾^(١) .

وتلك أول عبارة عن « الزوجية » في النباتات وسنعود فيما بعد إلى هذا المفهوم . إن الكلمة بمعناها الثاني ، أي ذلك الذي يعني « سائل » دون أي تحديد ، مستخدمة في شكلها غير المحدد للدلالة على ما هو أصل تشكل أي حيوان .

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ مَّاءٍ ﴾^(٢) .

وسنرى فيما بعد أن الكلمة تنطبق أيضاً على السائل المنوي^(٣) .

وإذن فسواء كان المقصود هو أصل الحياة عموماً ، أو العنصر الذي يجعل النباتات تولد في التربة ، أو كان المقصود هو بذرة الحيوان ، فإن كل عبارات القرآن تتفق تماماً مع المعطيات العلمية الحديثة ، ولا مكان مطلقاً في نص

(١) سورة طه : ٥٣ / ٢٠ .

(٢) سورة النور : ٢٤ / ٤٥ .

(٣) سائل مفرور بواسطة الغدد الخاصة بالتناسل ، وهو يحتوي على الحيوانات المنوية .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١٢٠
القرآن لأي خرافة من الخرافات التي كانت منتشرة في عصر تنزيل القرآن.

(ب) التناسل الإنساني في القرآن :

إن تكوين فكرة عن محتوى القرآن في هذا الموضوع ليس أمراً يسيراً. وتكمن الصعوبة الأولى في أن المقولات الخاصة بالتناسل الإنساني متفرقة في كل الكتابات مثلما أشرنا ، ولكن ليست هذه هي الصعوبة الكبرى ، فأكثر ما قد يضل الباحث ، هنا أيضاً ، هو مشكلة المفردات .

فالواقع أن ترجمات وتفسيرات بعض الفقرات التي مازالت منتشرة في عصرنا تعطي لرجال العلم الذين يقرءونها فكرة مغلوطة تماماً عن الآيات الخاصة بهذا الموضوع ، على سبيل المثال تقول معظم هذه التفسيرات بتشكيل الإنسان ابتداء من « جلطة دم » أو ابتداء من « التحام » . وهذه المقولة لا يقبلها مطلقاً العالم المتخصص في هذا الميدان ، فلم يكن أصل الإنسان أبداً شيئاً من هذا ، وسنرى في الفقرة التي تعالج تعشيش البويضة في رحم الأم الأسباب التي من أجلها يقع مستعربون بارزون في مثل تلك الأخطاء ، لافتقارهم إلى الثقافة العلمية .

مثل هذه الملاحظة تجعلنا نتصور الأهمية الكبرى لاقتزان المعارف اللغوية والمعارف العلمية للوصول إلى إدراك معنى المقولات القرآنية عن التناسل .

يركز القرآن أولاً على التحولات المتوالية التي يمر بها الجنين في رحم الأم حتى نهاية الحمل .

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ

* فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿١﴾ .

﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ ﴿٢﴾ .

وإلى جانب هذه الملاحظة العامة يلفت نص القرآن الانتباه نحو نقاط

عدة خاصة بالتناسل البشري ، ويمكن تصنيفها كما يلي :

١ . يتم الإخصاب بفضل كمية من سائل ضئيلة جداً.

٢ . طبيعة السائل المخصب.

٣ . تعشش البيضة المخصبة.

٤ . تطور الجنين.

١ . تمام الإخصاب بفضل كمية من سائل ضئيلة جداً :

يكرر القرآن هذه المعلومة ١١ مرة مستخدماً التعبير الذي نجده في :

﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ نُطْفَةٍ ... ﴾ ﴿٣﴾ .

نطفة : تأتي الكلمة من فعل يعني سال ، ونض ، وتستخدم في الإشارة إلى

ما يمكن أن يتبقى في دلو بعد تفرغته. وهي إذن تشير إلى كمية من سائل

ضئيلة جداً ، ومن هنا كان المعنى الثاني « قطرة ماء ». المقصود هنا قطرة من

مَنِيٍّ. ذلك أن نفس هذه الكلمة تقترن بكلمة مَنِيٍّ في آية أخرى هي : ﴿ أَلَمْ يَلِكْ

نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُؤْنَى ﴾ ﴿٤﴾ .

(١) سورة الانفطار : ٨٢ / ٦ - ٨ .

(٢) سورة نوح : ٧١ / ١٤ .

(٣) سورة النحل : ١٦ / ٤ .

(٤) سورة القيامة : ٧٥ / ٣٧ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١٢٢
وهناك آية أخرى تشير إلى أن النطفة المقصودة توضع في « قرار ». وهذا
القرار كما هو واضح تماماً يدل على الجهاز التناسلي : ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي**
قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾^(١).

وتعتبر صفة « مكين » التي يصف بها النص القرار عن فكرة مكان متقرر.
وعلى أي حال فالمقصود هو المكان الذي ينمو فيه الإنسان في جهاز الأم.
ولكن ما يهيم التأكيد عليه بوجه خاص هو تلك المعلومة عن الكمية الضئيلة
جداً اللازمة للإخصاب ، وهي تتفق تماماً مع ما نعرف اليوم.

٢ . طبيعة السائل المخصب :

يذكر القرآن هذا السائل الذي يضمن الإخصاب بصفات تستحق
الدراسة :

(أ) ﴿ **مَنِيٍّ** ﴾ كما حددنا لتونا^(٢).

(ب) « **مَاءٍ دَافِقٍ** » : ﴿ **خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ** ﴾^(٣).

(ج) ﴿ **مَاءٍ مَّهِينٍ** ﴾^(٤).

يمكن تفسير صفة مهين ، فيما يبدو ، ليس على أنها للسائل نفسه ، وإنما
بسبب خروجه من نهاية الجهاز البولي ، فهو إذن يتخذ الطريق الذي يخرج منه
البول.

(١) سورة المؤمنون : ٢٣ / ١٣ .

(٢) سورة القيامة : ٧٥ / ٣٧ .

(٣) سورة الطارق : ٨٦ / ٦ .

(٤) سورة المرسلات : ٧٧ / ٢٠ ، سورة السجدة : ٣٢ / ٨ .

(د) ﴿ أَمْشَاجٍ ﴾ أي المخاليط أو ما هو مخلوط : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ

نُطْقَةٍ أَمْشَاجٍ ... ﴾^(١).

ويرى كثير من المفسرين أن المقصود بهذا المخلوط هو عنصر الذكر ، وعنصر الأنثى . وكذلك الأمر بالنسبة للكتاب القدماء ، إذ لم تكن لديهم أدنى فكرة عن فسيولوجيا الإخصاب ولا عن ظروف الإخصاب البيولوجية من ناحية الأنثى ، وكانوا يعتبرون أن الكلمة تشير لمجرد اجتماع عنصرين .

أما المفسرون المحدثون ، مثل صاحب المنتخب الذي نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، فإنهم يعدلون عن هذه الطريقة ، ويميزون هنا أن نقطة المنيّ « ذات عناصر شتى » . ولا يعطي تفسير المنتخب تفصيلات أخرى عن ذلك ، ولكن ملاحظته ، في رأبي ، سديدة تماماً .

ما هي إذن عناصر المنيّ المختلفة ... ؟

يتشكل السائل المنوي من إفرازات مختلفة تأتي من الغدد التالية :

(أ) الخصيتان (يحتوي إفراز الغدة التناسلية للذكر على الحيوانات المنوية ، وهي خلايا مستطيلة مزودة بهذب طويل ، وتسبح في سائل مصلي) .

(ب) الحويصلات المنوية : تخزن هذه الأعضاء الحيوانات المنوية ، وتقع على مقربة من البروستاتا ، وتفرز إفرازاً خاصاً لكنه لا يحتوي على عناصر مخصبة .

(ج) البروستاتا : وتفرز سائلاً يعطي للسائل المنوي قوامه الغليظ

ورائحته الخاصة .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١٢٤
(د) الغدد الملحقة بالمسالك البولية : وهي الغدد المعروفة باسم كوبر (Cooper) أو ميرري (Mery) وتفرز سائلاً جارياً ، وغدد ليتري (Littre) وتفرز المخاط. تلك هي أصول هذه المخاليط « الأمشاج » التي يبدو فعلاً أن القرآن يتحدث عنها.

بل هناك أكثر من هذا ، إذا كان القرآن يتحدث عن سائل مخصب يتكون من عناصر مختلفة ، فإنه يلفت نظرنا إلى أن نسل الإنسان يستمر بواسطة شيء يمكن استخراجها من هذا السائل. وذلك هو معنى الآية : ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ سُلَالَةً مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ** ... ﴾^(١).

سلالة : تدل الكلمة على شيء مستخرج أو خرج من شيء آخر ، أو هو أحسن جزء من شيء. وأياً كانت طريقة التفسير فالمقصود هو جزء من كل.

إن ما يتسبب في إخصاب البويضة ، ويكفل التناسل هو خلية شديدة الاستطالة يقاس طولها بمقياس ١ : ١٠٠٠٠ ملم. إن عنصراً واحداً من بين عشرات الملايين الصادرة من رجل في ظروف عادية^(٢). يصل إلى الولوج في البويضة. ويتبقى عدد كبير في الطريق ولا ينجح في قطع المسافة التي تؤدي من المهبل إلى البويضة عبر تجويف الرحم والبوق (بوق فالوب). إنه إذن متناهٍ في الصغر صادر من السائل معقد التركيب هو الذي يحقق نشاطه.

فكيف لانداهش أمام الاتفاق بين العنصر القرآني والمعرفة العلمية التي

(١) سورة السجدة : ٣٢ / ٨.

(٢) يمكن تقدير أن ١ سم ٣ من السائل المنوي يحتوي على ٢٥ مليون حيوان منوي في الظروف العادية لعملية قذف قدرها عدة سنتيمترات مكعبة.

٣ . تعشش البويضة في جهاز الأنثى التناسلي

تنزل البويضة لتعشش في التجويف الرحمي بعد أن تخصب ، وذلك مايسمى بتعشش البويضة. ويسمى القران الرحم الذي تتخذ فيه البويضة مكاناً. ﴿... وَتُقَرَّرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ...﴾ (١).

ويتحقق استقرار البويضة بالرحم بواسطة امتدادات حقيقية ، وكما لو كانت بذوراً تضرب في الأرض ، فإنها تنهل من جدار العضو ما يلزم لنمو الجنين. وهذه الامتدادات هي التي تجعل البويضة تتعلق بالرحم. ويرجع تاريخ معرفتها إلى العصور الحديثة.

ويشير القرآن خمس مرات إلى هذا التعلق : أولاً في الآيتين :

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (٢).

علق : تشير الكلمة إلى ما يعلق (ما يتشبث بشيء). ذلك هو المعنى الأول. وجلطة الدم معنى مشتق من هذا المعنى ، وكثيراً ما نراه في التفاسير ، غير أن هذا أمر غير صحيح ينبغي التحذير منه : فالإنسان لا يمر مطلقاً بمرحلة جلطة الدم. وينطبق نفس الأمر على تفسير آخر وهو « التصاق ». تلك لفظة غير صحيحة. والمعنى الأول للكلمة ، أي شيء يعلق ويتشبث ، هو المعنى الذي يستجيب تماماً للواقع الثابت اليوم.

ويذكر القرآن تلك المعلومة في أربع آيات أخرى تتحدث عن التحولات

(١) سورة الحج : ٢٢ / ٥ .

(٢) سورة العلق : ٩٦ / ٢٠١ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١٢٦ المتوالية ابتداء من قطرة المي حتى نهاية الحمل.

﴿ ... فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ... ﴾^(١).

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ... ﴾^(٢).

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ... ﴾^(٣).

﴿ أَلَمْ يَكْ نُطْفَةً مِّنْ مَّيِّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴾^(٤).

يصف القرآن العضو الذي يقع الحمل به بكلمة في العريضة تدل اليوم على الرحم كما رأينا ذلك. وفي بعض الآيات يسميه قراراً^(٥).

٤ . تطور الجنين في الرحم

تطور الجنين في الرحم كما يصفه القرآن يستجيب تماماً لما نعرف اليوم عن بعض مراحل تطور الجنين ، ولا يتوهم هذا الوصف على أي مقولة يستطيع العلم الحديث أن ينقدها.

إذ يقول القرآن إن الجنين ، بعد مرحلة التشبث ، وهو التعبير الذي رأينا إلى أي حد هو مؤسس على الحقيقة ، يمر بمرحلة « المضغة » (أي اللحم المضوغ) ثم يظهر بعد ذلك النسيج العظمي الذي يغلف باللحم ، ويعني لحماً نضراً.

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا

(١) سورة الحج : ٢٢ / ٥ .

(٢) سورة المؤمنون : ٢٣ / ١٤ .

(٣) سورة غافر : ٤٠ / ٦٧ .

(٤) سورة القيامة : ٣٧ / ٧٥ و ٣٨ .

(٥) سورة المؤمنون : ٢٣ / ١٣ ، سورة المرسلات : ٧٧ / ٢١ .

فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ... ﴿١﴾

المُضْغَةَ : تشير إلى ما يشبه اللحم الممضوغ ، أما اللحم فيعني اللحم النضر. ويستحق هذا التمييز الالتفات. إذ إن الجنين في مرحلة أولى من تطوره كتلة صغيرة تبدو فعلاً للعين المجردة ك لحم ممضوغ ، ويتطور الهيكل العظمي في هذه الكتلة ، وبعد أن تشكل العظام ، تتغطى بالعضلات ، وعلى العضلات توافق كلمة لحم.

والمعروف أن بعض الأجزاء ، في أثناء مدة تطور الجنين ، تبدو غير متناسبة مع ماسيكون عليه الفرد في المستقبل على حين تظل أجزاء أخرى متناسبة.

ذلك هو معنى كلمة « مخلق » ؛ هي تعني مشكل بنسب ، وقد جاءت الآية لتشير إلى هذه الظاهرة :

﴿... فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ ... ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ (٢)

ويذكر القرآن أيضاً ظهور الحواس والأحشاء : **﴿... وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ...﴾ (٣)**

ويشير أيضاً إلى تشكل الجنس : **﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّرَّاجِينَ الذَّكَرَ**

(١) سورة المؤمنون : ٢٣ / ١٤ .

(٢) سورة الحج : ٢٢ / ٥ .

(٣) سورة السجدة : ٣٢ / ٩ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١٢٨
وَالْأُنثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿١﴾ .

وتذكر آيات أخرى تشكل الجنس أيضاً^(٢) .

وكما قلنا فلا بد من مقارنة كل هذه المقولات القرآنية بالمعلومات التي تثبت في العصر الحديث ، إن توافق المقولات القرآنية مع المعلومات الحديثة يتضح ، ولكن من المهم أيضاً مقابلتها بالمعتقدات العامة في هذا الموضوع ، والتي كانت سائدة في عصر تنزيل القرآن حتى ندرك إلى أي حد كان معاصرو هذه الفترة بعيدين عن حيازة معلومات تشبه تلك التي يعرضها القرآن في هذه المسائل. وليس هناك أدنى شك في أن هؤلاء المعاصرين لم يعرفوا في ذلك العصر تفسير هذا الوحي مثلما ندركه نحن اليوم ، ذلك أن معطيات المعرفة الحديثة تعيننا على تفسيره. الواقع أن المتخصصين لم يكتسبوا معرفة واضحة إلى حد ما عن هذه المسائل إلا خلال القرن التاسع عشر.

فطيلة كل القرون الوسطى كانت الخرافات والأفكار النظرية التي لا تتمتع بأي أساس هي قاعدة مختلف المعتقدات في هذا الموضوع ، بل لقد سادت أيضاً لقرون عديدة حتى بعد العصور الوسطى. إن المرحلة الحاسمة في تاريخ علم الأجنة بدأت بدعوى هارفي (Harvey) الذي قال في عام ١٦٥١ ، بأن كل شيء حي يأتي أولاً من بويضة ، وأن الجنين يتخلق تدريجياً جزءاً بعد جزء. في هذا العصر كان العلم الوليد قد أفيد كثيراً ، في الموضوع المعني هنا ، باختراع المجهر الذي كان قد تم في عصر سابق بقليل ، وبرغم ذلك فقد كان النقاش

(١) سورة النجم : ٥٣ / ٤٥ . ٤٦ .

(٢) سورة فاطر : ٣٥ / ١١ ، سورة القيامة : ٧٥ / ٣٩ .

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ١٢٩

دائراً حول دوري كل من البويضة والحيوان المنوي. وكان بوفون (Buffon) عالم الطبيعيات الكبير ينتمي إلى أشياع فكرة البويضة ، وكان من بينهم أيضاً بوني (Bonnet) الذي كان يدافع عن نظرية اندماج البذور القائلة بأن مبيض حواء ، أو الجنس البشري ، كان يحتوي على بذور كل الكائنات الإنسانية متداخلة كل في الآخر. وقد حظي هذا الفرض ببعض التأييدات في القرن الثامن عشر.

عرف الناس القرآن بما يربو على ألف عام من قبل هذا العصر الذي كانت المعتقدات الوهمية تسوده. إن مقولات القرآن عن التناسل البشري تعبر في ألفاظ بسيطة عن حقائق أولى أنفقت مئات من السنوات لمعرفةا ...

المبحث الرابع : موازنة بين القرآن والعهد القديم والمعارف الحديثة

. رواية الطوفان نموذجاً

قادت دراسة رواية الطوفان على حسب العهد القديم إلى الملاحظات

التالية :

ليس في التوراة رواية واحدة فقط عن الطوفان. بل هناك روايتان ،

ولكنهما حررتا في عصور مختلفة :

١ . الرواية اليهودية التي ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد.

٢ — الرواية الكهنوتية التي ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد ، والتي

أخذت هذا الاسم لأنها مؤلف لكهنة ذلك العصر.

إن رواية الطوفان في العهد القديم غير مقبولة في إطارها العام ، وذلك

لسببين يتضحان على ضوء المعارف الحديثة :

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١٣٠

(أ) يعطي العهد القديم للظوفان طابعاً عالمياً.

(ب) وعلى حين لا تعطي فقرات المصدر اليهودي للظوفان تاريخاً ،

تحدد الرواية الكهنوتية زمن الظوفان في عصر لم يكن من الممكن أن تقع به كارثة من هذا النوع.

والحجج التي يستند إليها هذا الحكم هي ما يلي :

تحدد الرواية الكهنوتية أن الظوفان قد حدث عندما كان عمر نوح ٦٠٠

عام ، غير أنه من المعروف ، بحسب الأنساب المذكورة في الإصحاح الخامس من سفر التكوين أن نوحاً قد ولد بعد آدم بـ ١٠٥٦ عاماً (وهذه الأنساب كهنوتية المصدر هي أيضاً ، وقد ذكرناها في الجزء الأول من هذا الكتاب).

وينتج عن ذلك أن الظوفان قد وقع بعد ١٦٥٦ عاماً من خلق آدم. ومن ناحية

أخرى فجدول نسب إبراهيم الذي يعطيه سفر التكوين (١١ ، ١٠ ، ٣٢) ، على

حسب نفس المصدر ، يسمح بتقدير أن إبراهيم قد ولد بعد الظوفان

بـ ٢٩٢ عاماً. ولما كنا نعرف أن إبراهيم كان يعيش في حوالي ١٨٥٠ ق.م. فإن

زمن الظوفان يتحدد إذن ، على حسب التوراة ، بـ ٢١ أو ٢٢ قرناً قبل المسيح.

وهذا الحساب يتفق بمنتهى الدقة مع إشارات كتب التوراة القديمة التي تحتل

فيها هذه التحديدات التاريخية المتسلسلة مكاناً طيباً قبل نص التوراة ، وذلك

في عصر كان الافتقاد إلى المعلومات الانسانية في هذا الموضوع يجعل

معطيات هذا التسلسل التاريخي للأحداث مقبولة بلاجدال لدى قرائها^(١) —

(١) منذ أن حصل المتخصصون على بعض المعلومات عن تسلسل الأحداث في

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ١٣١
حيث إنه لم يكن هناك أيضاً أي حجج مضادة.

كيف يمكن اليوم تصور أن كارثة علمية قد دمرت الحياة على كل سطح الأرض (باستثناء ركاب السفينة) في القرن ٢١ أو ٢٢ ق.م. ؟ ففي ذلك العصر كانت هناك على نقاط عدة من الأرض حضارات قد ازدهرت وانتقلت أطلالها إلى الأجيال التالية. وبالنسبة لمصر ، على سبيل المثال ، كان ذلك في الفترة الوسطى التي تلت نهاية الدولة القديمة وبداية الدولة الوسطى. وبالنظر إلى ما نعرف عن تاريخ هذا العصر فإنه يكون مضحكاً القول بأن الطوفان قد دمر في ذلك العصر كل الحضارات.

وعلى ذلك ، ومن وجهة النظر التاريخية ، فيمكن تأكيد أن رواية الطوفان ، مثلما تقدمها التوراة ، تتناقض بشكل واضح مع المعارف الحديثة. إن وجود روايتين هو دليل حاسم على تعديل البشر للكتب المقدسة.

رواية الطوفان في القرآن :

يقدم القرآن رواية شاملة مختلفة ، ولاتثير أي نقد من وجهة النظر التاريخية.

لا يقدم القرآن عن الطوفان رواية مستمرة ، فهناك سور عديدة تتحدث عن العقاب الذي وقع على شعب نوح ، أما أكثر الروايات كمالاً فهي في سورة

العصور القديمة ، ومنذ كفت هذه الحوليات الوهمية لكتاب العهد القديم الكهنوتيين عن أن تكون موضع تصديق ، سارع المسؤولون بحذفها من كتب التوراة. لكن المعلقين المحدثين على هذه الأنساب التي احتفظ بها لا يلفتون انتباه قراء كتب التعليم الديني العامة نحو الأخطاء التي تحتويها.

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١٣٢
هود (١١) الآيات من ٢٥ إلى ٤٩ ، أما سورة نوح (٧١) فهي تذكر بشكل
خاص موعظة نوح ، كما تفعل ذلك الآيات من ١٠٥ إلى ١١٥ من سورة
الشعراء (٢٦).

ولكن قبل أن ننظر في مجرى الأحداث بالمعنى الحقيقي علينا أن نحدد
الطوفان مثلما يخبر به القرآن بالنسبة إلى السياق العام للعقوبات التي أنزلها الله
على جماعات أذنبت بشكل خطير بتعديدها على وصايا الله.
على حين تتحدث التوراة عن طوفان عالمي لعقاب كل البشرية الكافرة ،
يشير القرآن على العكس ، إلى عقوبات عديدة نزلت على جماعات محددة
جيداً.

تشير إلى ذلك هذه الآيات : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ
أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْرْنَاهُمْ
تَدْمِيرًا * وَقَوْمِ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَعْرَفْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً
وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ
ذَلِكَ كَثِيرًا * وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ (١).

أما سورة الأعراف (٢) فتقدم العقوبات التي نزلت على شعب نوح وعاد
وثمود وسدوم ومدین كل على حدة.

وعلى ذلك فالقرآن يقدم كارثة الطوفان باعتبارها عقاباً نزل بشكل
خاص على شعب نوح ، وهذا يشكل الفرق الأساسي الأول بين الروایتين.

(١) سورة الفرقان : ٢٥ / ٣٥ - ٣٩.

(٢) سورة الأعراف : ٧ / ٥٩ - ٩٣.

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ١٣٣
أما الفرق الجوهرى الثانى فهو أن القرآن ، على عكس التوراة ، لا يحدد زمن الطوفان ، ولا يعطى أية إشارة عن مدة الكارثة نفسها.

وأما أسباب السيل فهى نفسها تقريباً فى الروايتين ، وتذكر الرواية الكهنوتية للتوراة (التكوين ٧ ، ١١) سببين مقترنين. تقول : « فى ذلك اليوم انبثقت عيون الماء من الهوة السحيقة ، وانفتحت هواويس السماء. » أما القرآن فيحدد فى الآيتين ما يلى : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَمَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ (١).

والقرآن يحدد بشكل صريح محتوى سفينة نوح ، فقد أعطى الله أمراً لنوح بأن يضع فى السفينة كل ما سيعيش بعد الطوفان ، وقد أنجز نوح هذا الأمر بأمانة : ﴿ أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٢).

ومن سبق عليه القول هنا ، أى من استبعد من الأسرة ، فهو ابن ملعون لنوح ، تقول عنه الآيتان ٤٥ و ٤٦ من نفس هذه السورة إن تضرع نوح لربه لم يغيّر من الأمر شيئاً ، والقرآن يشير إلى من يوجد على السفينة ، بالإضافة إلى الأسرة التى قطع منها هذا الابن الملعون ، وهم قليلون ممن آمنوا بالله. ولا تشير التوراة إلى هؤلاء من بين ركاب السفينة. إن التوراة ، فى الواقع ، تقدم ثلاث روايات عن محتوى السفينة.

— على حسب الرواية الكهنوتية : نوح واسرته دون أى استثناء وزوج من

(١) القمر : ٥٤ / ١١ . ١٢ .

(٢) سورة هود : ١١ / ٤٠ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١٣٤ كل نوع.

— على حسب الرواية اليهودية : هناك تمييز من ناحية بين الحيوانات الطاهرة والطيور وبين الحيوانات النجسة من ناحية أخرى (والسفينة تحتوي على سبعة^(١) أزواج من الفئة الأولى ، ذكر وأنثى ، وعلى زوج واحد فقط من الفئة الثانية).

— على حسب روايات يهودية معدلة (التكوين ٧ ، ٨) : زوج من كل نوع طاهر أو نجس.

أما رواية الطوفان الفعلي التي تحتوي عليها سورة هود (١١) الآيات من ٤١ إلى ٤٩ ، وسورة المؤمنون (٢٣) ، الآيات من ٢٣ إلى ٣٠ ورواية التوراة فلا تقدمان اختلافات ذات دلالة خاصة.

وتقول التوراة بأن المكان الذي جنحت إليه السفينة نحو جبل أرارات (التكوين ٨ ، ٤) أما القرآن فيقول إنه ﴿ **الْجُودِيّ** ﴾^(٢). وهذا الجبل هو قمة جبال أرارات بأرمينيا ، ولكن لاشيء يثبت أن البشر لم يغيروا من الأسماء للتوفيق بين الروايتين. ويؤكد ر. بلاشير (Blachere) هذا : وفي رأي هذا الكاتب أن هناك كتلة جبلية بهذا الاسم بالجزيرة العربية. ولكن ربما كان اتفاق الأسماء أمراً مصطنعاً.

في نهاية الأمر ، فالاختلافات بين روايات القرآن وروايات التوراة موجودة ، وهي هامة. وبعض هذه الاختلافات يفلت من أي فحص نقدي. إذ

(١) ألم يكن العدد ٧ يعني في اللغات السامية في ذلك العصر كثرة غير محددة ؟

(٢) سورة هود : ١١ / ٤٤ .

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ١٣٥

هناك افتقار للمعطيات الموضوعية. ولكن إذا كان بالإمكان التحقق من معطيات الكتب المقدسة ، وذلك بمعونة معطيات أكيدة ، يصبح واضحاً تمام الوضوح عدم إمكانية اتفاق رواية التوراة - في تقديمها للظوفان بزمنه ومدته - مع مكتسبات المعرفة الحديثة. وعلى العكس من ذلك فإن رواية القرآن تتضح خالية من أي عنصر مثير للنقد الموضوعي. فمن عصر رواة التوراة إلى عصر تنزيل القرآن هل حصل الناس على معلومات من شأنها أن تلقى نوراً على حدث مثل هذا ؟ بالتأكيد لا ، فمن العهد القديم إلى القرآن كانت الوثيقة الوحيدة التي في حوزة الناس عن هذه الحكاية القديمة هي التوراة بالتحديد. وإذا لم تكن العوامل الإنسانية تستطيع أن تشرح التغيرات التي طرأت على الروايات لتتجه بها إلى التوافق مع المعارف الحديثة ، فيجب أن نقبل شرحاً آخر ، وهو أن هناك تنزيلاً من الله قد جاء بعد التنزيل الذي تحوي التوراة عليه.

(٣)

الموقف من الاسلام

وثيقة الفاتكان الحديثة ، والخاتمة

كشفت العديد من المستشرقين ، المحدثين والمعاصرين ، عن أن الأحكام التي كان يصدرها الغرب ، ممثلاً برجال الدين ورجال الفكر ورجال السياسة ، إنما هي أحكام مغلوطة ، ناتجة عن الجهل بالاسلام حيناً ، وعن العصبية حيناً آخر ، ولقد كان كل شكل من أشكال معاداة الاسلام ، حتى وإن صدر من أعداء صريحين للكنيسة ، فإنه كان يُلقى في فترة ما بتأييد حار حتى من كبار

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١٣٦

شخصيات الكنيسة ، فالبابا نينوا الرابع عشر ، الذي اشتهر بكونه أكبر حبر في القرن الثامن عشر ، لم يتردد في مباركة توليتز ، لأنه أهدها مسرحيته التراجيدية « محمد أو التعصب » ! وهي مسرحية هجائية فجة يستطيع أن يكتب مثلها ، في أي موضوع ، أي محترف كتابة سيء الضمير ، وبالرغم من ذلك فقد لقيت حينما سمح لها بأن تسجل في قائمة ملفات مسرح الكوميدي فرانسيز. لكن هذه النزعة أخذت تجد ما يقابلها ، ويقلل من نشاطها ، عندما أدرك الكثير من الغربيين حقيقة أن الأديان اليوم لم تعد منظوية على نفسها ، وعندما ظهرت ونشطت فكرة التفاهم بين الأديان ، وتعد أهم مبادرة في تعزيز هذه الظاهرة الأخيرة هي تلك التي صدرت عن أعلى مستويات المناصب الكنسية الرسمية ، حيث اجتهد مسيحيون كاثوليك في إرساء أوامر الصلة مع المسلمين ، ومكافحة عدم الفهم والتعصب غير المبرر ضده ، ومحاولة تصحيح وجهات النظر غير الصحيحة المنتشرة عن الاسلام.

تلك هي الوثيقة الصادرة عن (سكرتارية الفاتيكان لشؤون غير المسيحيين) تحت عنوان : « توجيهات لاقامة حوار بين المسيحيين والمسلمين ».

وقد تضمنت هذه الوثيقة - المؤلفة من مئة وخمسين صفحة - توجيهات فائقة الأهمية في هذا المضمار ، فلنقرأ شيئاً من نصوصها :

- تطالب هذه التوجيهات أولاً : « بمراجعة مواقفنا إزاء الاسلام ، وبنقد أحكامنا المسبقة ».

- وترى بروح موضوعية أن المقدمة الجادة والسليمة لهذه الخطوة لا بد

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ١٣٧
أن تبدأ من النفس : « علينا أن نهتم أولاً بأن نغيّر تدريجياً من عقلية إخواننا
المسيحيين ، فذلك يهم قبل كل شيء » .

– ويجب إلى جانب ذلك : « التخلي عن الصورة البالية التي ورثنا الماضي
إياها ، أو شوّهتها الفريات والأحكام المسبقة » .

– ولا ثبات الصدق في هذه المحاولة تؤكد التوجيهات على أنه : « يجب
الاعتراف بالمظالم التي ارتكبتها الغرب المسيحي في حق المسلمين » .

وتحت عنوان : « أن نتحرر من أكثر أحكامنا المسبقة جسامة » وجه
أصحاب هذه الوثيقة الدعوة الآتية إلى المسيحيين .

– « هنا علينا أن نتطهر وبعث من عقليتنا ، نقول ذلك ونحن نفكر بالذات
في بعض الأحكام المجهزة التي كثيراً ما نصدرها باستخفاف على الإسلام » .

– « إن المسلمين الذين يؤمنون بإبراهيم يعبدون معنا إلهاً واحداً هو
الرحيم ، ديان البشر في اليوم الآخر ... » .

وتتناول الوثيقة أحكاماً خاطئة صادرة من الغرب المسيحي على
الإسلام :

– ف « جريئة الإسلام ، ذلك الحكم المسبق واسع الانتشار ، تدرسه الوثيقة
وتستعين بذكر الآيات من القرآن لتعارضه بمفهوم مسؤولية الانسان الذي
سيحكم عليه بما فعل ، وتبيّن خطأ المفهوم القائل بجريئة القواعد الاسلامية ،
وتعارضه بالمفهوم القائل بالاخلاص في الايمان ، وذلك يذكر ما ظل يجهله
الغريون عن عبارتي القرآن : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ ^(١) و ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ

(١) سورة البقرة : ٢ / ٢٥٦ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١٣٨
في الدِّينِ مِنْ حَرْجٍ ﴿١﴾ .

– وتعارض الوثيقة الفكرة الشائعة عن الاسلام كدين الخوف ، بالاسلام دين الحب ، حب الانسان المستأصل في الايمان بالله .
– وهي أيضاً تدحض افكاراً خاطئة روجت ضد الاسلام ، كفكرة عدم كفاية الأخلاق الاسلامية ، وفكرة التعصب في الاسلام. وتعلقت على الاخيرة بالقول : « الواقع أن الاسلام عبر التاريخ لم يكن أكثر تعصباً من المدينة المسيحية عندما كانت المسيحية تكتسب بشكل أو بآخر في هذه المدينة قيمة سياسية » .

كما تدحض الفكرة الخاطئة عن الجهاد في الاسلام ، فتقول : « ليس الجهاد مطلقاً ما يعرف بالـ (Kherem) (الابادة) في التوراة ، فالجهاد لايسعى إلى الابادة ، بل يسعى لأن يمد إلى مناطق جديدة حقوق الله والانسان » وأما أعمال العنف التي تصاحب الحروب « فلقد كانت أعمال العنف في حروب الجهاد في الماضي تخضع عموماً لقوانين الحرب. وفي عصر الحروب الصليبية لم يكن المسلمون دائماً هم الذي ارتكبوا أكبر المذابح » .

– وتعالج الوثيقة أخيراً الحكم القائل بأن الاسلام دين جامد يبقى أتباعه في عصر وسيط بائد ، وهي تقارن مواقف مماثلة لوحظت في بعض البلاد المسيحية ، وتعلن : « إننا نجد في الفكر الاسلامي مبدأً لامكانية تطور المجتمع المدني » ﴿٢﴾ .

(١) سورة الحج : ٢٢ / ٧٨ .

(٢) موريس بوكاي : ١٤١ - ١٤٥ .

الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم ١٣٩

إن لمثل هذه الوثيقة أهمية فائقة في تصحيح أخطاء القرون المتراكمة ، وفي فتح الباب واسعة للتعارف والحوار بين الأديان ، هذا الأمر الذي كان قد طرقة الاسلام منذ ألف وأربعمائة سنة ، لا في وثيقة لسلطة دينية أو سياسية في مرحلة ما ، بل في القرآن الكريم نفسه : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا** ﴾ ^(١) ، ولكن كم هم قليلون حقاً - ما يقول بوكاي نفسه - الغريون الذين عرفوا تلك المواقف الجديدة التي اتخذتها أعلى سلطات الكنيسة الكاثوليكية ؟ ^(٢).

فهذه السياسة التي تنتهجها الدول الغربية المسيحية ضد الاسلام ، منذ عهد نهضتها وحتى يومنا هذا ، شاهدة على أنها لم تعر أدنى أهمية لمثل هذه الوثيقة ، وأنها بقيت منغمسة في أوهامها وأخطائها التي راکمتها القرون من خلال تلك الأحكام المسبقة والجاهزة ضد الاسلام ، فلم يعد زرع الكيان الصهيوني ظملاً وعدواناً في قلب العالم الاسلامي هو المؤثر الوحيد على عدوانية فجّة ضد الاسلام ، خصوصاً بعد أن ركبت السياسة الامريكية - الانجليزية المعاصرة موجتها الاخيرة في محاربة الاسلام في داخل بلدان المسلمين ، لا بالضغوط الاقتصادية والسياسية وحدها ، بل بالغزو العسكري والاحتلال الجديد ، الذي من شأنه أن يعيد تكريس العدوانية مرة أخرى ، لاسيما مع ظهور ما يصحبه من هجوم إعلامي وحمولات تثقيفية واسعة تعمق هذه الروح ، وتجعل من الاسلام عدواً مخيفاً يهدد أمن المسيحيين في أمريكا

(١) سورة آل عمران : ٣ / ٦٤ .

(٢) موريس بوكاي : ١٤٥ .

في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) ١٤٠
وأوريا !

فلماذا يكون الأمن والاستقلال حقاً للامريكي في وطنه وفي العالم بأسره ، ولا يكون حقاً للمسلم في وطنه وحدوده الجغرافية ، بل في مسكنه ومحل عمله ؟

إنها الروح العنصرية ، والعدوانية التي خلقتها تلك الأحكام الخاطئة والمجحفة ، والتي كان من ورائها دائماً أناس عدوانيون في طبيعتهم ، مرضى القلوب ، أنانيون بإفراط ، يرون الحياة حقاً لهم وحدهم دون سواهم. وسيكون مصيرهم على عكس ما يسعون إليه ، وعاقبتهم الخيبة والخسران.

خاتمة عامة :

في نهاية هذا الاستعراض السريع تبدت عدة نتائج بالغة الأهمية ، نمر عليها مروراً سريعاً :

ظهر أن العهد القديم (التوراة) يتألف من مجموعة من المؤلفات ، أنتجت على مدى تسعة قرون تقريباً ، وهو يشكل مجموعة متنفاة جداً من النصوص ، حتى في أمهات العقيدة التوحيدية ، عدّل البشر من عناصرها عبر السنين ، بحيث إن التعرف على مصادر هذه النصوص اليوم أمر عسير جداً.

وظهر أيضاً أن الأناجيل الأربعة لم تكتب بأقلام شهود عيان للأموال التي أخبروا عنها ، إنها ببساطة تعبير المتحدثين باسم الطوائف اليهودية المسيحية المختلفة عما احتفظت به من معلومات عن حياة المسيح العامة ، وذلك على شكل أقوال متوارثة ، شفوية أو مكتوبة ، اختلفت اليوم ، بعد أن احتلت دوراً وسطاً بين التراث الشفهي والنصوص النهائية.

لقد كانت النتيجة الحتمية لذلك هو التناقضات والتعارضات التي قدمنا نماذج منها ، كما ظهر أيضاً أن لتنزيل القرآن وتدوينه تاريخاً يختلف كل الاختلاف عما كان للعهد القديم ولأناجيل ، فكان القرآن فور تنزيله كان النبي والمؤمنون من حوله يتلونه عن ظهر قلب ، وكان الكتبة منهم يدونونه ، ويحفظونه بما دونوه عندهم ، ويجمعونه إلى بعضه بأشرف من النبي ﷺ ويراجعونه عليه . وظل الامر هكذا حتى وفاة النبي ﷺ .

وهكذا فإن القرآن الكريم لا يخلو فقط من متناقضات الرواية ، وهي السمة البارزة في مختلف صياغات العهدين ، بل احتفظ بأعجازه في وجوهه المتعددة كما تحدث عنها القرآن نفسه وقت نزوله .

وإضافة إلى هذا فقد امتاز على العهدين بالتوافق التام مع معطيات العلوم الحديثة .

وهو يحتوي أيضاً على مقولات متعددة ذات طابع علمي من المستحيل تصور أن إنساناً في عصر النبي محمد ﷺ قد استطاع أن يؤلفها . وهكذا سمحت المعارف العلمية الحديثة بفهم بعض الآيات القرآنية التي ليس لها تفسير واضح عند المتقدمين الذين لم تظهر هذه المعارف في أزمنتهم ، ولم يكونوا على إلمام بها .

وتبين أيضاً أن مقارنة العديد من روايات التوراة مع روايات نفس الموضوعات في القرآن تبرز الفروق الأساسية بين دعاوى التوراة غير المقبولة علمياً وبين مقولات القرآن التي تتوافق تماماً مع معطيات العلم الحديث .

١٤٢ في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن) .
وبهذا نخلص إلى أن القرآن الكريم ، بخلاف العهدين القديم والجديد ، هو
الكتاب السماوي الوحيد الذي احتفظ بوحى السماء نصاً ومضموناً دون
تبديل أو نقيصة أو تحريف ، ليكون هو بالتالي المصدر الأساسي والأصلح
لمعرفة رسالات السماء إلى البشر.

المحتويات

٥	كلمة المركز
٩	مقدمة المؤلف
١٣	الفصل الأول : معالم أساسية في التوراة
١٣	المبحث الأول : من صور الوثنية في التوراة
١٣	١ . اليوم السابع
١٤	٢ . شجرة الجنة
١٩	٣ . مرة أخرى يتكرر المعنى نفسه
٢٠	٤ . يعقوب يصارع الله !!
٢١	٥ . الله في وسط العليقة !!
٢٢	٦ . بنو إسرائيل يرون الله !!
٢٣	٧ . الله يتراجع عن قتل موسى !!
٢٤	٨ . يحارب ويختار !!
٢٤	المبحث الثاني : الأنبياء في التوراة
٢٤	١ . هارون بين التوراة والقرآن
٢٦	٢ . من هو الذييح ؟
٢٧	٣ . لوط وابنتاه
٢٨	٤ . كيف أخذ يعقوب البركة من أبيه ؟
٣٠	٥ . بيت داود عليه السلام
٣٢	٦ . إرهاب موسى ويوشع عليه السلام
٣٣	٧ . الحاضر والغائب في التوراة
٣٤	المبحث الثالث : التوراة والتحريف
٣٦	الفقرة الأولى : الامكان التاريخي للتحريف

١٤٤	في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن)
٣٩	حلقيا يعثر على التوراة
٤٠	أخطاء في توراة حلقيا
٤٠	شواهد اخرى على التحريف
٤٢	الفقرة الثانية : تاريخ التوراة
٤٢	من هو مؤلف العهد القديم ؟
٤٣	الأصول الأولى للتوراة
٤٤	نتيجة البحث باختصار
٤٥	الفصل الثاني : معالم في الانجيل
٤٥	١ . تاريخ الاناجيل
٤٦	من هو متى ؟
٤٨	من هو لوقا صاحب الانجيل الثالث ؟
٤٩	ماذا قبل الانجيل الأول ؟
٥٢	ماذا أنجز بولص ؟
٥٣	٢ . اختلافات الاناجيل
٥٨	خلاصة القول في هذه الملاحظات
٦٠	٣ . إشكاليات عقائدية في الاناجيل الاربعة
٦٠	الاناجيل الاربعة والتوحيد
٦١	أولاً : « ابن الله المخلص ! »
٦٢	١ . ان عيسى ولد من عذراء دون «واسطة» أب
٦٣	٢ . ان عيسى أظهر معجزات
٦٣	٣ . ان عيسى ذو شخصية لانظير لها
٦٣	٤ . ان عيسى قام من بعد الموت
٦٣	مع مصطلح « ابن الله »
٦٥	ثانياً : التثليث
٦٥	فكرة التوحيد

١٤٥	المحتويات
٦٧	كيف استقر « التثليث » ؟
٧٠	ثالثاً : عقيدة الغفران
٧٢	رابعاً : من الختان إلى التعميد
٧٣	٤ . وأخيراً . ماذا عن الانجيل الخامس
٧٣	« إنجيل برنابا »
٧٤	من هو برنابا ؟
٧٥	خلاصة العقائد والموقف من بولص في انجيل برنابا
٧٥	إنجيل برنابا وذكر الرسول محمد ﷺ
٧٥	الفصل الثالث : معالم في القرآن الكريم
٧٩	(١) تاريخ القرآن
٨١	من أدلة تدوين القرآن في عهد الرسول ﷺ
٨٧	(٢) القرآن والعلم الحديث
٨٧	نظرة مقارنة
٨٨	المبحث الأول : خلق السموات والأرض
٨٨	نقاط الاختلاف والتجانس مع رواية التوراة
٩٤	عملية تشكل الكون الأساسية وانتهائها إلى تكوين العوالم
٩٨	المادة الكونية المنتشرة بين النجوم
٩٩	مقابلة مع المعطيات القرآنية عن الخلق
١٠١	المبحث الثاني : علم الفلك في القرآن
١٠٣	(أ) تأملات عامة في السماء
١٠٦	(ب) طبيعة الأجرام السماوية : الشمس والقمر
١٠٧	(ج) البنية السماوية
١٠٨	وجود مدارين للقمر والشمس
١٠٩	الإشارة إلى تنقل القمر والشمس في الفضاء بحركة خاصة
١١١	تعاقب النهار والليل

١٤٦ في مقارنة الأديان (نظرة سريعة في التوراة والانجيل والقرآن)
١١٤ (د) تطور العالم السماوي
١١٧ توسع الكون
١١٨ المبحث الثالث : أصل الحياة وتناسل الانسان
١١٨ (أ) أصل الحياة
١٢٠ (ب) التناسل الإنساني في القرآن
١٢١ ١. تمام الإخصاب بفضل كمية من سائل ضئيلة جداً
١٢٢ ٢. طبيعة السائل المخصب
١٢٥ ٣. تعشش البويضة في جهاز الأنثى التناسلي
١٢٦ ٤. تطور الجنين في الرحم
المبحث الرابع موازنة بين القرآن والعهد القديم
١٢٩ والمعارف الحديثة
١٢٩ رواية الطوفان نموذجاً
١٣١ رواية الطوفان في القرآن
١٣٥ (٣) الموقف من الاسلام
١٣٥ وثيقة الفاتكان الحديثة ، والخاتمة
١٤٠ خاتمة عامة
١٤٣ المحتويات